رفعت محمد مرسي طاحون

حقائق الإسلام
وأباطيل خصومه
حول الحجاب

حقائق الإسلام

وأباطيل خصومه

حول الحجاب

بقلم

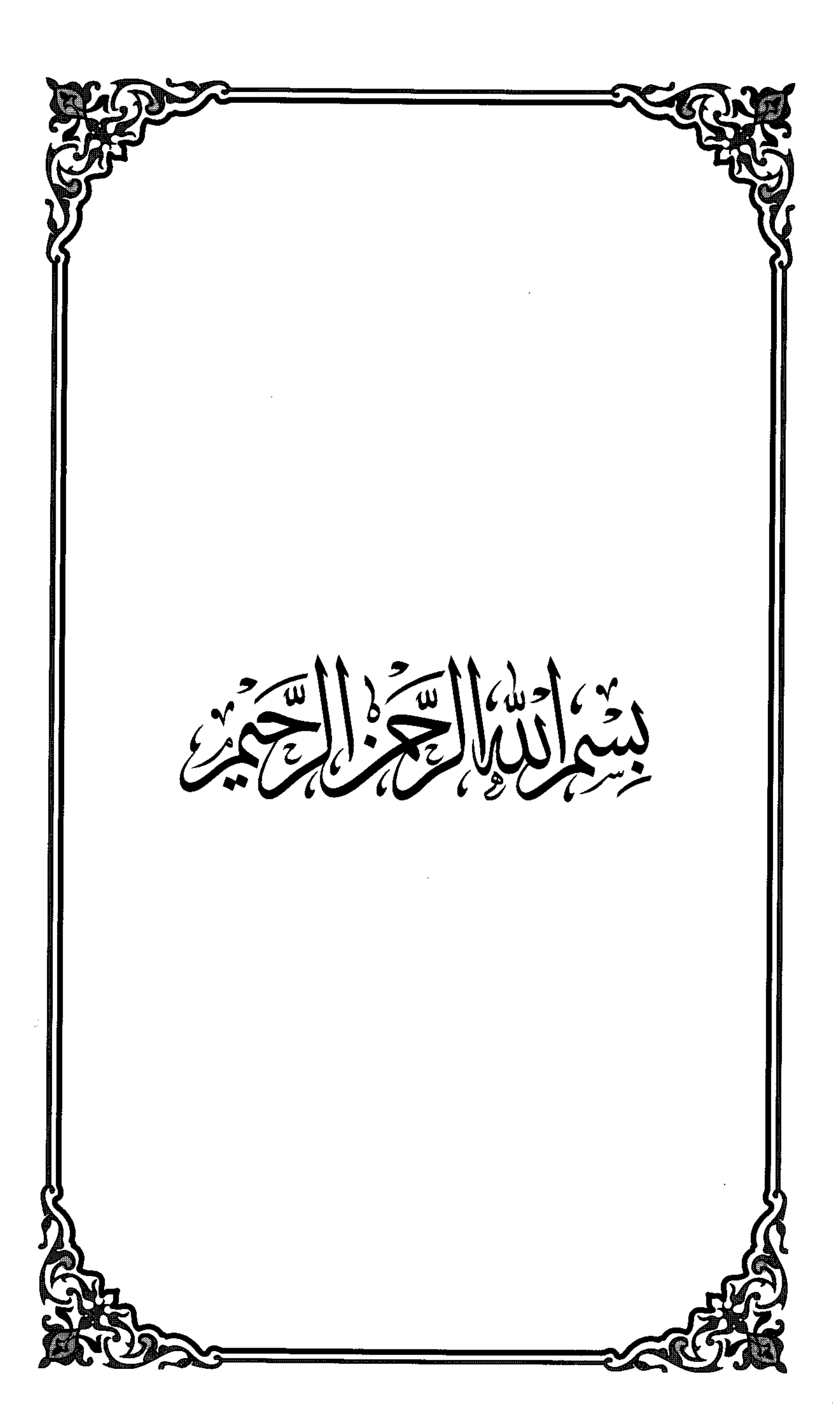
رفعت محمد مرسي طاحون

كاتب وباحث إسلامي

الطبعة الأولى 1433هـ - 2012 م

عدد الصفحات 200 القياس 22 X 14

حقائق الإسلام
وأباطيل خصومه
حول الحجاب


بسم الله الرحمن الرحيم

إذا نظرنا إلى حال المسلمين الأوائل : نجد أنهم مثاليون في سلوكهم لأنه نابع من العقيدة القوية القائمة على الحب العميق للمبادئ لمن وضعها والثقة التامة في خيريتها أو إيجابيتها لحفظ التوازن النفسي الذي يستهدف خدمة المجتمع ديناً ودنيا... قال تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[1].

فعندما شرع الحجاب أسرع نساء الصحابة إلى الامتثال: كما تحكي السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول: ﴿ **يَرْحَمُ اللّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللّهُ:** ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[2] **شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهِ** ﴾[3] وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها أيضاً عن نساء الأنصار: إني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار وأشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل لما أنزلت سورة النور ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ ﴾ انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل إليهن فيها ويتلو الرجل على امرأته وبنته وأخته وعلى ذي قرابته فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها[4]. فاعتجرت به (**أي لفت رأسها**) تصديقًا وإيماناً بما أنزل الله في كتابه. فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأن على رءوسهن الغربان[5]. وكان آل بيت النبي ﷺ : المثل الأعلى في تطبيق الحجاب: وذلك لمكانتهن منه قال تعالى ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ

---

(١) الحجرات: آية رقم ١٥

(٢) النور : آية ٣١

(٣) رواه البخاري (القرطبي – ١٢/ ٢٣٠) .

(٤) مرطها : كساء من صوف أوخز، يسترها أسفل الجسم.

(٥) راوه ابن مردويه وأبو داود وابن أبى حاتم – عن صفية بنت شيبة – عن عائشة – تفسير ابن كثير.

كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ وقد نفذته بدقة بالغة حتى إن السيدة سودة ﵂ لم تخرج للحج بعد الأمر بالاستقرار في البيت ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[1].

فقد أخرج عبد بن حمد وابن المنذر ومحمد بن سيرين نبئت أنه قيل لسودة﵂ : لم لا تتحجبين ولا تعتمرين كما تفعل أخواتك ؟. فقالت : قد حججت واعتمرت وأمرني الله أن أقر في بيتي فو الله لن أخرج منه حتى أموت... قال الراوي : فو الله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها[2].. ولم تشارك السيدة أم سلمة﵂ في فتنة عثمان بن عفان ﵁... فقد أرسلت إلى السيدة عائشة ﵂ خطاباً تقول فيه **جهاد النساء غض الأطراف وضم الذيول وأقسم لو قيل لي : يا أم سلمة ادخلي الجنة لاستحييت أن ألقى رسول الله ﷺ**[3] وحياء السيدة فاطمة ﵂ عندما دخل والدها عليها ومعها عبد لها : فقد روى أبو داود عن أنس ﵁ أن النبي ﷺ أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها قال : وعلى فاطمة ثوب إذا غطت به رأسها لم يبلغ إلى رجليها وإذا غطت به رجليها لم يبلغ إلى رأسها فلما رأى النبي ﷺ ما تلقى من ذلك قال : ﴿ **إنه لا بأس عليك، إنما هو أبوك وغلامك** ﴾.

وورد : ﴿ أن عائشة ﵂ بعد ما دفن عمر في بيتها بجوار النبي ﷺ وأبيها، كانت تتنقب، ولما سئلت عن ذلك قالت : إني أشعر بروح غريبة ﴾.

---

(١) الأحزاب: آية رقم ٣٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن : القرطبي – طبعة دار الشعب- ١٤/ ٨٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن : القرطبي- ١٢/ ٢٣٤.

...وهكذا ظل الحال مستمراً على الحفاظ على الحجاب ، حتى حدث ما حدث من أسباب دعت إلى السفور.. وأصبحت المرأة المسلمة تتنصل من الحجاب وتتمدح بالتحرر منه. وتكونت جمعيات أنشأت اتحادات وروابط وتشكيلات كثيرة تدعو إلى الحرية.

.. **إن الحجاب في صورته القريبة من المشروع اليوم** يكاد يكون طابعاً عاماً في بعض الأقطار الإسلامية « **كالسعودية وشمال اليمن وأفغانستان والجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا ... مثلاً** ». حيث المرأة هناك يُحافظ عليها بغيرة شديدة.

أما غالبية نساء المسلمين اليوم:قد تبرجن تبرج الجاهلية الأولى بالفعل ، إعادة للحالة المزرية التي سبقت ظهور الإسلام.. ها هن قد عُدن بنا إلى الوراء القبيح.

هؤلاء هُنَّ الرجعيات حقاً- **لا ما عليه المتحجبات الحقيقيات من التزام بأوامر الله** -إنهن السادرات في الغي، المسرفات على أنفسهن بالمعاصي، إنهن غافلات مغموسات في الإثم غمساً . وإلى جانب ذلك فإنهن غير مُباليات بصنيعهن، لقد احتالت عليهن شياطين الإنس والجن، ليتلوثن تحت ستار كاذب وسراب خداع اسمه التقدم والحضارة وتحرير المرأة، بينما كان الهدف الحقيقي هو جعل المرأة متاعاً مشاعاً يجده الرجل إلى جانبه ، ويُمتع نفسه بمرآه في الشارع والمقهى والملهى وعند شواطئ البحار وفي المنتديات والمكاتب وأماكن العمل والمتنزهات وفي كل مكان **...** وهكذا سقطت المرأة المسلمة فريسةً بيد الشيطان فضلت وأضلت... **ومن صفات هؤلاء النسوة وأفعالهن الشيطانية المزرية :**

- **خروج النساء في صورة مبتذلة** : عارضةً مفاتنها باللباس الضيق الرقيق الذي يجسم العورة، وكاشفةً عن صدرها ونحرها وظهرها وذراعها وساقها، بسبب الجهل والتقليد الأعمى للغرب، وما جاء به الاستعمار.

- **ذهاب النساء إلى الكوافير**: حيث نجد بعض النساء إلى جانب ما تفعله من تبرج وابتذال قد تذهب إلى الكوافير (**وهو رجل يقوم بتزيين شعر المرأة ووجهها**) فتراه يلمس شعرها، ويتحسس وجهها ويديره بين يديه... فماذا يمكن أن نميزها عن أي امرأة بغي تتقلب في أيدي الرجال وتبيع جسدها بالمال؟ بل إن هذه ويا للأسف تدفع المال للرجل لكي يتحسسها.

وإن هناك بعض الفتيات ممن لم يلمسهن رجل من قبل ؛ تأتي إحداهُن في ليلة زفافها، فيأتي عليها جهلها إلى أن تذهب للكوافير ليتحسسها قبل أن يلمسها الزوج التعيس الذي فقد مروءته ورجولته وغيرته.. فيذهب إليها ليتسلمها من عنده، وهو يشعر بالسعادة والفخر، بينما لو فكر في الأمر برهةً، أو استشعرت نفسه شيئاً من الشرف والرجولة والعفة والإباء، لأبى أن يقترن بتلك التي سمحت لنفسها بتقليد المومسات الرخيصات.

- **صالونات تجميل السيدات** : فما نجده من صالونات تجميل السيدات، الذي يديره كوافيرة سيدة متخصصة بفن الحيل والمكر والخديعة لتزيين السيدات، وخاصة غير الجميلات، بحيث إنها بدهائها تلقي في روع فريستها بأنها ستجعلها أجمل من عروس، و تأخذ تصف لها الطلاء الذي يشد وجهها، والعلاج الذي يحفظ

شعرها من التساقط، وتأخذ هذه المسكينة الأطلية والوصفات فيما تضعه على وجهها، فتراها في بيتها بدل أن تتطيب لمعاشرة زوجها، تراها تأخذ بوضع الأطلية على وجهها، وخاصة اللبن التالف والعسل، وفساد بعض الخضروات والفواكه... يا ترى ماذا ترى ؟ إنك ترى تركيبةً عجيبة.. لو لم ترها قبل هذه التركيبة لما صدقت أنها تمت لآدم بصلةٍ.. ولكن هل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟؟

- **محلات الأزياء الحديثة وملابس الفتنة والبذخ :**

فهناك مُبالغة زائدة في عرض أغطية الرأس وإكسسوارها اللافتة للنظر والمثيرة للأعين، مما يُبعد من تريدها عن أهداف الحجاب السامية... كما يوجد هُناك معروضات، يعتمد التصميم على إبراز مفاتن الجسم من حيث الشفافية... **وهنا** : إذا نظرنا إلى المعروض في المحلات التجارية الحديثة للمحجبات في كثير من بلاد المسلمين، نجد أن المعروض في هذه المحلات يُلبي أذواق الجميع من الزي الواسع الفضفاض إلى الضيق المجسم. إذن فهي ليست إلا تلبيةً واستجابة للطلب المتزايد على هذا النوع من الملابس دون تقييد بمواصفات مُعينة للزي الإسلامي الصحيح.

إن تلك المحلات حاولت أن تجذب المحجبات بطريقتها، فتدخلت في غطاء الرأس، لتحصل على كسب سريع، ونجحت بالفعل فيما رمت إليه من استغلال الموقف لصالحها.. فجرت النساء إلى أحدث الموديلات اللائقة بالمحجبات كما يظهر من الصور المعلنة عن السلعة.(فهي مرةً تُحزِّم طرحة الرأس برباط أسود أو أحمر. ومرةً تخدعهن باستحسان لبس القبعات في قمة الرأس بميل متعمد تحت الغطاء بلا مُبرر يدعو إلى ذلك ...).

وكل هذا يُكلف المعسر ما ليس عنده.. مصداقاً لقول رسول الله ﷺ : ﴿ أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا لبسن ريط الشام أو حلل العراق، وعصب اليمن، وملن كما تميل أسنمة البخت ، فإذا فعلن ذلك كلفن المعسر ما ليس عنده﴾... فالقبعة : دخيلة على مجتمعاتنا الإسلامية.. ومن الأفضل أن تلتزم المرأة بالحشمة والوقار والاحترام . . . هذا كله لا يتأتى إلا بالالتزام الكلي لمتطلبات شرع الله ، والبعد عن أي شائبة تشين الهيئة الموقرة ولو بأشياء لا فتة لأنظار من في قلوبهم مرض.

التشبه بين الرجال والنساء : فللأسف الذي يؤلم : نجد بعض الشباب يتشبه بالنساء في مظاهر الزينة، فنجد من يلبس في عنقه طوقاً ذهبياً، ومن يضع أحمر شفاه، وهناك من يصنع أثداء صناعية، ويُطيل شعره كما تفعل النساء.. وغير ذلك من مظاهر التخنث. ومن النساء من تتشبه بالرجال في الملبس (**كارتداء البنطلونات والقلانس والعمائم.. الخ**).

تبرج النساء والفتيات في الشواطئ والمصايف : فما نراه في كثير من الدول الإسلامية، بظهور النساء والفتيات في الشواطئ والمصايف بصورة شبه عارية أو عارية، واختلاطهن بالشباب، مما يُعرضهن لإثارة الغريزة لنظرة الشهوة والابتزاز، وما أكثر ما يحدث من جراء ذلك من مآسٍ، وفي ذلك إهدار لكرامة المرأة وإنسانيتها..

التبرج والإعلانات الخليعة في التلفاز : فقد غزا الإعلان الغربي بأشكاله وصوره وأوتاره مجتمعات المسلمين، مثل غيره من الأشكال والأساليب الإعلامية والأدبية والاجتماعية الغربية التي غزت بلاد الإسلام.

وقد أثرت هذه الإعلانات بأشكالها وأساليبها وصورها المتبذلة على أخلاقيات الإعلانات في مجتمعاتنا الإسلامية.. وأصبح الإعلان عندنا لا يلتزم بالصدق. ولا يحرص على الحقيقة المجردة، وإنما وسيلته المبالغة والتهويل، وتجاهل العيوب والسلبيات، والتركيز الكامل على إثارة غرائز وشهوات الأفراد، مثل حب التملك والاقتناء وحب الظهور، والحاجة إلى الإشباع الجسدي والعاطفي على الدوام.

فقد أصبح هناك قُصور كبير في وضع الضوابط الأخلاقية والقانونية التي تحكم ممارسات الإعلانات، حيث دخلت قطاعات جديدة إلى الحياة الاقتصادية، مستخدمةً الإعلانات كشكل من أشكال الاتصال ، كثير منها يحمل قيماً وأنماطاً تتعارض في معظمها مع معتقداتنا وقيمنا وأخلاقنا الإسلامية، ونُظمنا الاقتصادية والاجتماعية، ويرجع ذلك إلى عدم وجود ميثاق شرف للممارسات الإعلانية. وغياب الضوابط الواضحة التي يلتزم بها المعلن، ووكالة الإعلان ووسيلة النشر، وفي غيبة هذه الضوابط الأخلاقية استخدمت كثير من الإعلانات حيث استثارت الغرائز الجنسية عن طريق : الكلمات المثيرة، والصور شبه العارية للراقصات والممثلات ومحترفي الإعلان، حيث التقبيل وصور الإغراء والإغواء

والفتنة، وبالذات في الإعلان عن الأنشطة الفنية المختلفة، كالأفلام والشرائط والكازينوهات والملاهي الليلية.. وكذا الفقرات الإعلانية عن أدوات الحلاقة وشفراتها وأدوات الزينة، ومستحضرات التجميل والأطعمة ومفرداتها، وظهور النساء والفتيات وهن يؤدين حركات إغرائية تدعو للميوعة والليونة، وهن شبه عاريات..

ومثل هذه الإعلانات تحض على التردي الخلقي، وبث الرذيلة بين الشباب والفتيات.. وتخاطب الغرائز الحيوانية في الإنسان ولا تخاطب الغرائز السامية في الإنسان.

انتشار الأفلام الفاسدة المخلة بالآداب : وانتشار المجلات الخليعة بصور النساء العارية والفاتنة.. وانتشار رياضة الجمباز بين النساء، وظهور المرأة عارية الجسم.. وقيام المرأة مع الرجل بتصرفات بهلوانية تثير الشهوة الجنسية عند المراهقين... كل هذا يشاهد باستمرار في البرامج الرياضية والمهرجانات الشبابية، سواءً بالتلفاز أو الصالات والملاعب الغريزية، وجميع هذه العوامل تتضافر لتنمي بين الشباب النزعات الجنسية، وتهيج الشهوات الجنسية ، وهذا أصبح يظهر عند الشباب مع بداية سن البلوغ، وأحياناً قبل هذا السن.

❖ الأسباب الدافعة للسفور في عالمنا الإسلامي :

إن سفور المرأة مظهر لنشاط الغريزة الجنسية وانحرافها، وهو في أول أمره شأن كل عصيان، يصحبه شيء من الحذر، لأنه خروج على القيود المفروضة والعُرف المألوف، فإذا وجدت المرأة السافرة أن غيرها يُشاركها معصيتها قل حياؤها وحرجها، و إذا

رأت ما يشجع عليه استهانت بالدين، ومضت في غوايتها حتى يأتي يوم يُعد فيه السفور شيئاً عادياً، بل يتطور الأمر إلى الدفاع عنه وتبريره، وجعله هو القاعدة الأصلية والحجاب هو الشذوذ الخارج عليها، بمعنى أن يصير المنكر معروفاً والمعروف منكراً، بل أن يدعى إلى المنكر وينهى عن المعروف... وللسفور أسباب تدفع إليه دفعاً، وأسباب تشجعه وتقويه، وكلها نابعة من عصيان الله ومن اتباع الهوى، متفرعةً منه مستمدة وجودها وقوتها منه..

.. **ومن الأسباب الدافعة إلى السفور**(١) :

- **الكبت** : فالكبت هو السبب الحقيقي للسفور، فهو نتيجة المعاملة الشاذة عند تطبيق الدين الذي أُسيء فهمه . والكبت كما يقول علماء التربية يُولد الانفجار، ومنع الشيء يغري به كما يقول الشاعر :

منعــت شيئاً فأكثـرت الولـوع * وحُب شيء إلى الإنسان ما منعا

وترويض الغرائز عن طريق إيجاد بعض المنافذ لها يحول دون انفجارها. وهذا الكبت كان سبباً في قيام دعوات إصلاحية ترد على الاتهامات الموجهة إلى الدين من خلال هذه المعاملة القاسية... فقد فهم بعض الناس أن تشريع الحجاب وقف لنشاط الغريزة ، وقضاء عليه، وحرب شعواء على مطالب البدن، ليخلو الجو للروح فتنفرد وحدها بالنشاط. وهو فهم خاطئ جرهم إلى الانتكاس في كثير من أفكارهم، وإلى ارتكاب الشطط في كثير من تصرفاتهم. وفي

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام – الجزء الثاني – الحجاب بين التشريع والاجتماع : للشيخ / عطية صقر / طبعة الدار المصرية للكتاب / القاهرة/ (د.ت).

ظل الفهم الخاطئ للدين منعت المرأة من إبداء رأيها في الزواج، بل في رعاية الأسرة والأولاد، وكان لا يسمح برؤية العروس حتى يوم الزفاف.

وكان من سوء فهم الدين والشطط في تطبيقه : صرامة الخلفاء العثمانيين في تطبيق الحجاب على المرأة وابتداع نظام الحريم، الذي أرادوا به التشبه بالنبي ﷺ في تحريم رؤية نسائه، حتى وهن في كامل الستر والحشمة. واشتطوا في هذا التشبه ناسين الجوانب الإنسانية والدينية التي كان يعامل بها الرسول ﷺ زوجاته، ويعامل بها المرأة المسلمة بوجه عام... وتوجد في هذه الأيام صور من الحريم تتمثل في حجز المرأة في البيت حتى الموت لا يتصل بها إلا زوجها، بل يحرم على أقاربها المحارم أن يزوروها. ولا تخرج من البيت إلا عند موتها، فإذا اضطرت إلى الخروج كان ذلك ليلاً وفي حراسة مشددة، وهى بذلك لا تتعلم ولا ترى النور، ولا تذهب للتداوي، بل هي ممنوعة من السفر إلى مكان آخر... والمرأة في مثل هذا الجو مسجونة في سجن مظلم، محرومة من كل دور حسي ومعنوي.. وما ذلك من الدين في شيء وهو ناشئ من سوء فهم الدين والتطرف في تطبيقه... ومن المعروف أن هذه المعاملة القاسية تجعل من اليسير انفجار المرأة واندفاعها للتحرر من كل قيد عندما تسنح لها الفرصة.

وهنا : فإن حجب المرأة بهذه الطريقة ليس تكميلاً للمرأة، بل تنقيصًا لها وحطاً من قدرها، فلابد من إتاحة الفرصة لتتعلم حتى تكون في سلوكها على وعي، والوعي يُحدد الفضائل ويرسم الطريق

إليها. وإما أن تكون هذه الطقوس والإجراءات وسيلة لخلق الفضيلة التي في نفس المرأة، فذلك ما لا يسلم، يقول الشاعر[1] :

قالوا: الحجاب. فقلت تلك سخافة * * أرأيتمو شمس الضحى تُحجب ؟
قالوا: الفضيلة . لا تقولوا غيرها * * فسلاحها عند الدفاع مجرب
لا خير في حجب بغير فضيلة * * في اللين أكثر ما تدب العقرب

فحرمان المرأة من التعليم حتى لو كانت في بيتها مبعثه الغيرة المتطرفة عليها، مع أن العلماء أجازوا نظر الأجنبي إلى المرأة التي يعلمها سواءً في ذلك العلم الواجب والمندوب[2] . إن حرمانها من التعليم والمباحات الأخرى كان له أثره في جهل الأمهات بواجب الأولاد ، وجهل المرأة بواجباتها الزوجية والواجبات الأخرى ، وفي شيوع الخرافات وتسلط الأفكار السيئة، كل ذلك أيضًا من أسباب اتهام الدين بالجمود، وعدم صلاحيته لتطوير الحياة.

- **احتكاك الغرب بالشرق** : عن طريق الحروب والتجارة والسياحة وغيرها، والتقليد الأعمى للمرأة المسلمة لغيرها من نساء الكفار : فلقد ظلت المرأة المسلمة محافظةً على الحجاب قرونًا طويلة، ولم يشذ منهن إلا القليل اللائي كان المجتمع يعدهن شاذات، ويلقين منه إنكاراً شديداً، رأينا صداه في كتب الفقه والأخلاق التي تنعى على المرأة تبرجها وخروجها على تقاليد الحجاب، وكانت السلطات المسؤولة تتعاون مع الشعب في إنكار المنكر بوجه عام، وذلك عندما كان الدين مُسيطراً على الحياة في نظامها السياسي والاجتماعي وسائر النظم.

(١) شاعر رجعي (مجلة الأزهر) – القاهرة – مجلد ١٨ ص ٨٧٦.
(٢) شرح الخطيب على متن أبى شجاع في فقه الشافعية -٢/ ١٢١ – ١٣٧.

ولم يظهر السفور في المجتمع الإسلامي بشكل واضح إلا بعد احتكاك الغرب بالشرق عن طريق الحروب والتجارة والسياحة وغيرها، حيث رؤية الأجنبيات سافرات، أو نقلت أخبارهن إلى المسلمات . ومعلوم أن المرأة الغربية سبقت المرأة الشرقية في عدم الاهتمام بالحجاب وفي التمتع بالحرية الواسعة، في الوقت الذي كانت فيه الشرقية - وبالأخص المرأة المسلمة- تُعاني من التخلف والضيق والمعاملة السيئة - **على غير الصورة المشروعة** - عنتاً كبيراً، الأمر الذي نتج عنه حرمانها من حقوق كفلها الدين كالتعليم مثلاً، وولد فيها كبتاً حاولت التملص منه بأي منفذ من المنافذ، حتى لو كان محرماً، مع أن المنافذ المشروعة كثيرة لو فهمها القائمون على أمرها. ووجدت في نفسها ثورةً عارمة على هذا الحرمان، وتاقت إلى التمتع به غيرها من النساء... ولقد أثرت على المرأة الشرقية كتب الغرب والبعثات التي بعثتها الدول إلى أوربا، وعادت مُحملة بالآراء والأفكار التحررية، مع الاجتهاد في الدعوة إلى تطبيقها في بلادنا، ومن تحمس منهم لنزع الحجاب كان يظهر في كلامه طابع التقليد عندما يستشهد على رأيه معرضًا عن الدين ونصوصه وأحكامه.. ويعتقد الكثير منهم أن التخلف عن محاكاة الكافرات أو الفاسقات رجعية وتخلف.

- **تقليد الصغار للكبار** : وهو واضح في محاولة التشبه بذوي المنزلة الكبيرة، لحاقاً بهم في شرفهم، أو احتماءً بهم في سلوكهم.

فالملاحظ أن السفور نبت أولاً في البيوت الكبيرة ، وعند الشخصيات المشهورة من الحكام والأعيان، وغيرهم ممن اختلطوا

بالأجانب ، وشاهدوا أحوال نسائهم أو قرؤوا عنهن... والناس-كما هو معروف - على دين ملوكهم، وهنا تسارع النسوة إلى تقليد نسائهم بشعور من الاطمئنان إلى عدم النقد والاعتزاز بالتشبه بالكبار.

ورأينا في أيامنا الحاضرة أن بعض البلاد ما يزال فيها التقليد القديم-وهو الحجاب -مطبقاً بصراحة، وأن المجددين المتحررين بحثوا في الوسيلة الفعالة لتطوير المرأة والانتقال بها إلى الحياة الجديدة، فما رأوا أجدى من أن تكون قدوتها في ذلك زوجة حاكم الإقليم أو كبير المنطقة. فهي إذا أسفرت وغشت المجتمعات قلدها بقية النساء، وكان أولهن زوجات الملتصقين بهذا الحاكم أو الكبير في العمل ثم سرت العدوى كالموجة التي يحدثها الحجر حين يرمى في الماء، وهذا أثر من آثار مركب النقص الذي تنطوي عليه حوائج المرأة بالقياس إلى غيرها ممن ترى فيهن مثلها الأعلى.. ويشاهد هذا في تقليد البنت لأمها، والتلميذة لمدرستها، والطبقات المتوسطة للطبقات العالية.

وفي تقليد أهل القرى والمدن الصغيرة للمدن الكبيرة.. هكذا : فرأينا مثلاً بعض النساء في القرى أو المدن الصغيرة **التي تُحافظ على الحجاب** عندما يُسافرن إلى العاصمة الكبيرة ينزعن الحجاب ويُقلدن عامة الناس حتى لا يكدن يميزن عنهن... **وهنا** : نجد أن التقليد -وهو ظاهرة اجتماعية نابعةٌ من دوافع نفسية- سنة من سنن الكون. فليكن تقليداً في المجال الذي يوافق عليه الدين ويدعو إليه الخلق ولا يجوز أن يكون تقيداً أعمى في كل شيء، كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً.

- **ضعف التدين وعدم مقاومة الفساد** : فضعف روح التدين بالنسبة إلى ما كانت عليه في الأزمان السابقة ظاهرة عامة بين الرجال والنساء، ومن أهم أسباب هذا الضعف الجهل بالواجبات عامة والدينية بنوع خاص، نتيجة لقلة التعليم وضعف الثقافة الدينية ، بجانب عوامل أخرى (كتسلط المادة، والتقليد الأعمى واتباع خطوط الموضة الواردة من الشرق والغرب، والوقوع تحت سيطرة الاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي، ومغريات الفساد التي تأتي بها الأحداث والأيام)... وضعف روح التدين أنتج ضعف الاهتمام بمقاومة الفساد والنهي عي المنكر الذي منه السفور، سواءً منها المقاومة الذاتية النابعة من نفس المرأة، والمقاومة الخارجية الموجهة من الآباء وأولي الأمر والمسؤولين عامة... ومقاومة الفساد لا تُجدي إلا إذا قامت بها كل الجهود لسد جميع المنافذ التي يتسرب منها. والمقاومة للفساد ينبغي أن يكون على رأس قائمتهم رجال الفكر والتعليم، فهم الذين يستطيعون أن يبينوا خطر الانحراف. وكذلك الأزواج والآباء الذين يباشرون الرقابة على تصرف الزوجات والبنات. وكذلك أولو الأمر على المستوى الرسمي الذين يضعون القوانين ويراقبون التنفيذ..

وعندما كان العلماء والمفكرون والمصلحون يستطيعون تغيير المنكر بأيديهم وبألسنتهم معاً، كانت مقاومة الفساد ميسرة، وكان ذلك واضحاً عندما كانت هناك وظيفة المحتسب التي يتولاها أرباب العلم، يُراقبون بها تنفيذ أوامر الدين والدولة، ولهم سلطة العقاب على المخالفة. فلما سلبت منهم هذه السلطة العملية ،

اقتصرت مقاومتهم على اللسان والتوعية. والتوعية لا تفيد إن لم تسندها قوة منفذة، على أن اللسان ضيق عليه في فترات من الزمن ولم تعط له الحرية الكاملة لتغيير المنكر، بل إن أولي الأمر وعامة الناس لم يستجيبوا له، ومن هنا دخل الوهن على قلوب الكثيرين من الدعاة لعدم جدوى هذه المقاومة الهزيلة، ولتعرض أصحابها للأذى الشديد.

والأزواج والآباء ضعفت مقاومتهم لسفور من تحت أيديهم من الزوجات والبنات، وذلك لضعف شخصياتهم أو لرقة دينهم أو لتقليدهم لغيرهم، أو لعدم تقديس الرابطة الزوجية والنظام الأسري. وأصبح الرجل لا يستطيع مقاومة رغبة المرأة في السفور وغيره، بل صار حامياً لها ومدافعاً عنها، وقد يكون سلوكها متجاوباً مع هواه هو أيضاً ليتمتع -كما تتمتع هي- بالنظر إلى السافرات والاتصال بهن، ليكون وسيلة لتمتعه هو أيضًا بمثل ما تتمتع به **وهنا نتساءل** : إذا كان كل من الزوج والأب وولي الأمر المباشر لا يقاوم السفور، فهل يُقاومه رجل أجنبي لا صلة له بالمرأة إلا صلة العضوية العامة في المجتمع ؟.

إنه يقول : دعني وشأني، ومالي ولغيري؟ لأنه لا يرى فائدةً لإنكار، بل ولا يهمه ذلك ، خصوصاً إذا كانت هناك قوانين تحمي الحريات الشخصية وتوسع مجالها، وتمنع الشخص من التدخل في هذه الشؤون، الذين يقولون عنها : إنها شؤون خاصة.

وأولو الأمر المسؤولون عن نظام الدولة ضعفت كذلك مقاومتهم للسفور، لأمرين هما : إما لإقرارهم لمبدأ الحرية الشخصية، وعدم

اعتبار السفور شأناً عاماً أو منكراً، وذلك طبقاً للقوانين التي وضعوها، وهى لا تستند كلها إلى الدين... وإما لأن القائمين على تنفيذ هذه القوانين – على فرض أنها تحرم السفور– لا يهتمون به كثيراً إلا إذا مس الأمن العام بسوء.

– **الدعوة إلى السفور وتشجيعه** : فالدعوة إلى السفور شديدة قوية، لها وسائلها المتعددة، وكل منها له إمكانياته الواسعة واستعداداته الضخمة، وهذه الإمكانيات والاستعدادات تطغى بقوتها على المقاومة. حتى تكاد تميتها ومنـــها :

– (الأفلام السينمائية، وبخاصة منها المستوردة السافرة، الإذاعة المسموعة والمرئية، والصحافة، وكتب الأدب المكشوف، تشجيع السافرات بالمكافآت، وتولي الوظائف الهامة، وسائر أنواع التشجيع ، فرض زي غير كامل الحشمة لبنات المدارس ، وجود المدارس الأجنبية، وتطبيق النظم الغربية على طالباتها في التحرر والاختلاط ، الحملات الشديدة على الحجاب، وتوجيه الاتهامات القاسية إليه ، انتشار الموضات في فن الخياطة والملابس الجاهزة).

وهنا نقول : إن المرأة المسلمة لم تستوعب الأخطار السلبية للمجتمع الغربي. وانخدعت بالمظاهر البراقة وأعجبتها المرأة الغربية بتبرجها وحريتها المزعومة وانطلاقها واختلاطها بالرجل بلا حدود، فذهبت تقلدها تقليداً أعمى باسم التحرر وباسم التمدن وباسم مواكبة متطلبات القرن العشرين.. ناسيات أن النبيﷺ حذرنا من موافقة المشركين وأهل الكتاب في المعاصي والمخالفات. وحذرنا من اتباع سنتهم.

فقد أخرج الإمام مسلم بسنده. عن أبى سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ : ﴿ لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذارع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لا تبعتموهم ﴾. قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : ﴿ **فمن ؟** ﴾.

وعلى الرغم من هذا التحذير نجد بعض النساء المسلمات من دعاة التحرر والسفور وغيرهم يُقلدن المرأة الغربية في ملبسها ومأكلها وعاداتها وتقاليدها... فنجد بعض النسوة يفعلن ذلك بإرادتهن جرياً وراء التقليد الأعمى . وبعضهن يفعلن ذلك لأنهن وقعن ضحية لتخطيط مقصود من جانب المبشرين والمستشرقين والكفار الذين يضمرون كل الشر للإسلام الحنيف ويُريدون هدمه.

الشبهات الواردة على الحجاب : فالتبرج هوى سيطر على النفوس، واستعبد القلوب، وأعمى بصائر النساء والرجال معاً، هوى خضع له صاغراً المتعلم والمتنور، كما خضع له الجاهل المتبلد، وخضع له المتدين كما خضع له الفاسق، انقاد له الجميع بلا تردد ولا تورع ولا تأمل، بل في امتثال واستسلام ولذة.

فقد حاول دُعاة السفور أن ينتحلوا المعاذير ، واختلقوا له المزايا ليبرروه، ليجعلوه تقليداً مُستساغاً، إذ كانت نظرتهم إليه نظرةً نابعة من وحي التقاليد والعادات. فهم يُريدون أن يخرجوا عن المألوف تأثراً بالغرب أو ضعفاً في التدين، كما يحاول البعض أن يلتمسوا له مستنداً من الشرع.

فمما يؤسف له أن الإسلام يلقى حرباً ضروساً من أبنائه وأعدائه على حد سواء، ولو كانت الرياح الهوج التي تريد أن تعصف به موجهةً إليه من خصومه فقط لهان الخطب وخفت حدته...، ولكن عندما يُضرب الإسلام من المنتمين إليه فذلكم هو البلاء الذي يعصر القلب ويُمزق الوجدان، وصدق الشاعر :

وظلم ذوي القربى أشد مرارةً * * على النفس من وقع الحسام المهند

وليس على الإنسان من جهل خبيث يُطوقه ويُباعد بينه وبين لب الأشياء، ويجعله يقنع منها بالقشور والشكليات ضاربًا صفحاً عن القضايا الأصلية التي عليها مدار حياته المعنوية والأدبية.

فلقد ابتلي الإسلام من أتباعه بجهل عارم بأحكامه وقضاياه ومبادئه ونظرياته، ونسوا أن الإسلام جاء ليصلح فساد الحياة ويُقوم معوجها ويهيمن عليها ، ويخضعها لمنهج الله في كل شؤونها، لأنه دين يتعانق مع الفطرة ويُلبي المطالب المادية للإنسانية السوية في إنصاف واعتدال. فبالرغم من أن موضوع الحجاب يحتل مستوى عالياً من الأهمية في نظر الإسلام، فإنه ربما لم يدرس كثيراً وبشكل واضح ومعمق دراسةً مستوعبة من قبل الكتاب والمفكرين المسلمين المعاصرين، حسبما جد من شُبه ومناهضات، ولم يبرز رأى الإسلام وفلسفته الخاصة في الحجاب بصورة تجمع كل القضايا والجوانب المرتبطة بالموضوع فيما أعلم، وبحيث يوازن بين النظر الإسلامي وغيره من النظريات بالنسبة إلى ستر المرأة وحجابها.

ومن هنا : أخذ أعداء الإسلام ومناوئوه الذين يتربصون به الدوائر، يغتنمون أمثال هذه الفرص لشن الحملات العنيفة ضد

الحجاب الإسلامي، ويطرحون الموضوع بالشكل الذي يُحقق أهدافهم ويُصور للقارئ تعسُفاً أن الحق معهم تماماً، وأن الإسلام ظالم للمرأة في رأيه هذا، مُجحف في حقها، غاصب لحقوقها الإنسانية، مانع لها عن التقدم الاجتماعي. مع أن الإسلام على عكس ما يصور هؤلاء في جميع قوانينه وأنظمته، فالإسلام لم ينسَ أن يلفت المرأة إلى طبيعتها الرقيقة وما أودعه الله فيها من أنوثة غضة، قد تطمع فيها ذئاب البشر والمتنمرون منهم، فأمرها بالتزام الأدب وعدم الظهور أمام الناس إلا في ثياب الحشمة والوقار، حتى تسد على مرضى القلوب كل منفذ من منافذ الشيطان. ومن هنا كان أمر الإسلام بالحجاب، وكانت وصيته للنساء أن يلتزمن به، ويُحافظن عليه في أثناء خروجهن أو اختلاطهن بالأجانب عنهن.

فاليوم تتعرض المرأة لحملات مسعورة ودعوات مُغرضة -من أعداء الإسلام وأتباعهم ممن ينتسبون إلى الإسلام- هدفها اقتلاع المرأة من سور العفة المنيع الذي أحاطها به الإسلام عن طريق تزيين الغواية لها، وإغرائها بالتبرج ونبذ الفضيلة، وإيهامها بأن ذلك مسايرة للتقدم ومواكبة للتفتح والرقي... فقد تعرض الحجاب بشكل عام لعديد من الشبهات، ونحن إذ نورد صوراً من شبههم، فإنما نعرضها لبيان ضلالهم وتضليلهم وأن فكرهم غير مستقيم حين وجهوا هذه الشبهات... **ومن هذه الشبهات :**

- حجاب المرأة نظام وضعه الإسلام، فلم يكن له وُجود في الجزيرة العربية ولا في غيرها قبل الدعوة المحمدية ، وكادت كلمة المرأة المحجبة عندهم أن تكون مُرادفةً للمرأة المسلمة.

- أن الحجاب خاص بنساء النبي ﷺ ، وعدم شموله لغيرهن.

- أن التبرج من الصغائر، وأن الحجاب مظهر من المظاهر الجوفاء ليست له أهمية ولا ضرورة.

- إن التكشف والسفور عاملان من عوامل تحرر المرأة ، فلماذا يمنع الدين الإسلامي المرأة من أن ترتدي ما تشاء ؟ أليست هذه حُرية شخصية ؟

- أن التبرج هو ما تقتضيه مدنية العصر الحاضر، وأنه عنوان العلم والتحضر والتنور، وأن الخمار أصبح من مخلفات العصر الغابرة، ولا يتفق مع حضارتنا، وأنه يحط من قدر المرأة المتمدنة، ويصفها بالجهل والتأخر.

- أن الحجاب حجاب للعقل والفكر والروح.

- أن الرجال يتمسكون بالحجاب ليستبدوا بالمرأة، فينفسون عن قهرهم سياسياً واجتماعياً.

- أن الحجاب لا يتناسب مع الحياة « العصرية » المنتجة، حيث يعوق المرأة عن العمل والإنتاج.

- الحديث عن الحجاب هو حديث عن قشور الإسلام، وهُناك ما هو أهم من الحجاب، وليس الإسلام كله الحجاب، والعبرة بالكثرة، فأكثر الفتيات والنساء في المجتمع متبرجات، فهل معنى ذلك أن كل هؤلاء ضالات؟.

- أحرج من كلام الناس، وأخجل من سخريتهم مني بسبب الحجاب، فضلاً عن أن الحجاب يضايقني جداً في الحر ويجعل شكلي غير جميل.

- أن طهارة القلب وسلامة النية كافيان لرضاء الله عنهن بغير حجاب ولا صوم ولا صلاة، أو غير ذلك من الأمور الشرعية التي لا يصح الإسلام إلا بتطبيقها.

- أن حُب الله ورسوله كفيلان برضاء الله عنها بدون عمل.

- أن كثرة الاختلاط والنظر إلى المفاتن والمحاسن تُصبح مع الأيام شيئاً عادياً في نظر الشباب لا يثير غرائزهم ولا يلفت نظرهم، أما إذا ضرب بينهما بسور من الاحتجاب ، فإن نوازع الجنس تلتهب بينهما، وتغري كلاً منهما بصاحبه، فيشيع من ذلك الكبت في النفوس والسوء في الطباع.

- أريد أن أتمتع بشبابي، والحجاب يمنعني من ذلك، ومن ارتداء ما أريد أن ألبس من الثياب، ويمنعني أيضاً من الذهاب إلى أي مكان أريد أن أتمتع فيه بشبابي، كالذهاب إلى الشواطئ ودور السينما وغيرها.

- أن الحجاب يُقلل فرص الفتيات من الزواج.

- بعض الأمهات يمنعن بناتهن صغيرات السن من الحجاب بدعوى : أنهن لا يزلن في ريعان الشباب وزهرة الصبا، ولم يحن بعد وقت الاحتشام.

- أن المرأة ما دامت جادة في معاملتها ومؤدبة لا تُؤذي أحداً، فإن الزي الشرعي ليس ضرورياً.

- أنها كبيرة في السن ، فلن ينظر إليها رجل، وتُحاول ما استطاعت أن تُصلح ما أخذه الدهر.

- أنها تتبرج وتتجمل طاعة لزوجها وحرصاً على إرضائه، وحرصاً من انصرافه عنها إلى غيرها.

- أنها لا تستطيع مُخالفة غيرها، حتى لا تمتاز عن غيرها بالاحتشام الذي يستلفت إليها الأنظار ويحوطها بالتهكم ونظرات السخرية والاحتقار.

- أن قيمة العفيف من الجنسين تظهر عند الاختلاط ، فمجاهدة النفس ، حينئذٍ تكون لها منزلتها في المثوبة، فليكن هُناك اختلاط ، وليكن من الرجل الأدب حتى يكون له اختيار في تعففه.

- أنها تُبيح لنفسها السفور والأصباغ، لأنها دميمة ينفر الرجال من منظرها.

- أن الحجاب يُجمد الطاقات المودعة في المرأة ، والتي تستدعي العمل والإنتاج ، وكل نظام يشل هذه الحركة في المجتمع.

- أن الحجاب طعن في حق المرأة ، وأنه أمارة على الشك في قُدرتها على الحفاظ على الشرف، وإمارة على ضعف شخصيتها وإرادتها أمام المغريات.

- أن عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها وليست غطاءً يُلقى ويسدل على جسمها، وكم من فتاة متحجبة عن الرجال في ظاهرها وهي تُمارس معهم البغي والفجور في سلوكها، وكم من فتاة حاسرة الرأس سافرة الوجه لا يعرف السوء سبيلاً إلى نفسها أو سلوكها.

- أن حجب المرأة وجهها، كأنما تقف على مئذنة لتصيح في الناس هذه هي سلعة من عهود الحريم لمن يشتري.

- أن الحجاب فيه كبت للعواطف، فالعواطف إن لم تجد منفذاً للظهور -وهي ثائرة- أدت إلى عقد نفسية.

* * *

الفصـــل الأول:

من الأوهام الشائعة بين الغربيين: (أن حجاب النساء نظام وضعه الإسلام، فلم يكون له وجود في الجزيرة العربية ولا في غيرها قبل الدعوة المحمدية، وكادت كلمة المرأة المحجبة عندهم أن تكون مُرادفةً للمرأة المسلمة).

❖ وهنا نقول لخصوم الإسلام :

إن هذا وهم من الأوهام الكثيرة التي تُشاع عن الإسلام خاصة بين الأجانب عنه، وتدل على السهولة التي يتقبلون بها الإشاعات عنه، مع أن العلم ببطلانها لا يكلفهم طول البحث والمراجعة، ولا يتطلب منهم شيئاً من قراءة الكتب الدينية التي يتداولونها، وعموماً نشير هنا إلى النقاط التالية :

المبحث الأول

لقد حذرت الأديان كلها من الفتنة بالمرأة : ومن أجل ذلك فرض الحجاب.

أولاً : اليهوديـة :

جاء في التوراة (**وهي أقدم كتاب سماوي معروف بعد صُحف إبراهيم ونزلت على سيدنا موسى**) ما يؤكد الأصل المقرر الذي لا ينكر وهو أن النساء فتنة ولا بد من تنظيم علاقتهن بالرجال بمثل فرض الحجاب. جاء في **الإصحاح الخامس** من أمثال سليمان : أن شفتي المرأة الأجنبية تقطران عسلاً وحنكها أنعم من الزيت، لكن عاقبتها مرة كالأفسنتين، حادة كسيف ذي حدين، قدماها تنحدران إلى الموت، خطواتها تتمسك بالهاوية)... ويُوجد في الأسفار نص على البرقع – **وهو غطاء الوجه** – كان موجوداً عندهم : ففي سفر التكوين (**إصحاح ٢٤**) عند رفقة : « أنها رفعت عينها فرأت إسحاق فنزلت عن الجمل وقالت للعبد : من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائي ؟ فقال العبد هو سيدي، فأخذت البرقع وتغطت ».

وفي سفر التكوين (إصحاح٣٨) : (إن تأمرا قامت وقعدت في بيت أبيها، ولما طال الزمان خلعت عنها برقعها ولبست ثياباً ترمها)[1].

وفي (الإصحاح٣) من سفر أشعياء : ١٦- ٢٤ (أن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن، بأن ينزع عنهن زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب، فقال : من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق ، وغامزات بعيونهن خاطرات في مشيهن، يخشخشن بأرجلهن – يصلح السيد هامة بنات صهيون، ويعري الرب عورتهن، وينزع السيد في اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب والسلاسل وخناجر الشمامات والأطراز والخواتم وخزائم الأنف).

وبهذا يعرف أن الله فرض الحجاب على نساء اليهود، لكنهم خالفوه لغايات خبيثة، حيث: عرفوا خطر الفتنة بالنساء واستغلوا هذا السلاح الخطير في المرأة أسوأ استغلال لتحقيق الخير لهم، ولإفساد غيرهم من الناس، جمعوا عن طريقهن الأموال، ودبروا المؤامرات، وأشعلوا نار الحروب..

ومن أصدق ما يعبر عن سلوكهم : خطاب اليهودي « **رانجهون**»[2] الذي جاء فيه :

---

(١) المرأة في القران : عباس محمود العقاد – ط (٢) – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ص ٦٢.

(٢) سنة ١٨٦٩ م أمام قبر الحاخام (بن يهوذا) في (براغ) عاصمة تشيكو سلوفاكيا، المنشورة بجريدة فرنسية في باريس بتاريخ ١٩٤٢/١٦ (من كتاب «جهاز ناطق»: للسيد عمر مفتي زاده.) .

(يجب علينا أن نمزق وحدة الأحزاب المصطنعة والتضامن السياسي والأفكار الثورية التخريبية بوساطة عملائنا الذين سينظرون إلينا نظرة العابد للمعبود، ما دمنا نملك أكبر كمية من الرصد الذهبي، وما دمنا لن نحجز بناتنا ونسائنا عن أعدائنا الخوارج الملاعين).

ويقول **سرجي نيلوس** مُعقباً على بروتوكولات حكماء صهيون[1]: (إن عودة رأس الأفعى إلى صهيون، لا يمكن أن تتم إلا بعد تحطيم كل مُلوك أوروبا، أي حينما تكون الأزمات الاقتصادية ودمار تجارة الجملة، وقد أثر في كل مكان. وهناك ستمهد السبيل لإفساد الروح المعنوية والانحلال الخلقي، وخاصة بمساعدة النساء اليهوديات المتنكرات في صورة الفرنسيات والإيطاليات ومن إليهن. إن هؤلاء النساء أصبحن ناشرات للخلاعة والتهتك في حياة المتزعمين على رؤوس الأمم والنساء في خدمة صهيون، يعملن كأحابيل ومصايد لمن يفضلهن في حاجة إلى المال على الدوام، فيكن لذلك دائماً على استعداد لأن يبعن ضمائرهن بالمال، وهذا المال ليس مقترضاً من اليهود، لأن سرعان ما يعود عن طريق هؤلاء النسوة أنفسهن إلى أيدي الراشين، ولكن بعد أن اشترى عبيداً لهدف صهيون عن طريق هذه المعاملات المالية).

وقد قرر مؤتمر اليهود العاشر سنة ١٩١٢ م [2] : (إنه ليس من بأس أن نضحي بالفتيات في سبيل الوطن القومي، وأن تكون هذه التضحية قاسية مستنكرة، لكنها في الوقت نفسه كفيلة بأن توصل

---

(١) ترجمة محمد خليفة التونسي – ص ١٠، ١٧١.

(٢) مجلة التضامن الإسلامي – التي تصدر بمكة – محرم سنة ١٣٩٢هـ – عدد مارس ١٩٧٢.

إلى أحسن النتائج، وماذا عسى نفعل مع شعب يؤثر البنات ويتهافت عليهن ؟).

ثانياً: وفي المسيحية :

كان الحجاب من بين ما أقرته المسيحية، وجاء في كتبهم التي يتداولونها الآن ما يدل عليه، ففيها الأمر بغض النظر عن المرأة، وجاء في إنجيل **متى - الإصحاح ٥ - ٢٨** :

(وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه، ونبه بشدة على مراعاة ذلك – ففي فقرة ٢٥ : فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها، وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله في جهنم.).

ويؤكد **بولس الرسول** في رسالة **كورنثوس الأولى** : (إن النقاب شرف للمرأة، فإن كانت ترخي شعرها فهو مجد لها، لأن الشعر بديل من البرقع)[1].

..**وهذه النصوص تدل** على اعتراف المسيحية بضرورة الحجاب...، وكانت الكنيسة في القرون الوسطى تخصص جانباً منها للنساء حتى لا يختلطن بالرجال، وكانت المرأة عندهم تضع البرقع على وجهها حين تلقى الغرباء وتخلعه حين تنزوي في الدار بلباس الحداد.... وفي ذلك تقول عميدة الاستشراق الإيجابي د. **آنا ماري شمل** : (.. أما كنا – **ولا زلنا** – نذهب إلى القداس في الكنائس غير حاسرات الرؤوس؟ إن تغطية الشعر عادة معروفة في القدم، لم يبتدعها الإسلام، ذلك أن الشعر معتقدات إنسان ما قبل الميلاد بقرون كان مشحوناً بالقوة، وحسبنا أن نشير إلى قصة

---

(١) إصحاح ١١: ١٥

شمسون ودليله، وكيف فقد شمسون قوته الخرافية بعد اجتزاز شعره؟ وتعرف اليهودية عادة تغطية الرأس، عادة متبعة لدى المتدينين والمتدينات من اليهود، ولا تزال المرأة اليهودية الحريصة على دينها تغطي شعرها ولو بباروكة شعر مستعار، ولا يزال اليهودي الحريص على دينه يحضر إلى جامعة هارفارد – **سواءً الطالب أو المحاضر** – وعلى رأسه الطاقية التي تُغطي قمة رأسه .)[١].

المبحث الثاني

وإذا نظرنا إلى المجتمعات المدنية القديمة[٢] :

نجد أن الغالب في هذه المجتمعات الحجاب، وذلك لضمان عفة النساء، وشرعية النسل ووسائل الحجاب فيها متعددة ...، ومن أهم البيئات المدنية القديمة :

– **بابل وآشور** : كان الحجاب موجوداً في بابل والمملكة الكلدانية قبل ألفي سنه من الميلاد، كما يدل عليه قانون حمورابي الذي كان قبل موسى بخمسة قرون أو ثمانية، وظل يعمل به بعد موته بنحو عشرة قرون في عهد الملك « **اسوربانيبال** » ملك نينوى.

ففي لوحات صينية اكتشفت في آشور القديمة ترجع إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وجد نظام الحجاب مطبقاً على الحرائر دون الإماء والعواهر، بل كانت توقع عقوبات شديدة على الإماء والعواهر إذا تحجبن.

---

(١) الإسلام كبديل : د. مراد هوفمان – (٢) – مكتبة العبيكان– الرياض – ١٩٩٧ م – مقدمة الكتاب.

(٢) الحجاب في التشريعات الوضعية القديمة : للشيخ عطية صقر- موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام – القاهرة - الجزء الثاني – ص ٢٧ – ٢٨.

وتبين فقرة أخرى على اللوحة الأولى أن الرجل إذا أراد أن يعطي أمته صفة الزوجة يضع عليها حجاباً أمام الشهود ويقول إنها زوجتي[1].

- **مصر** : كان المصريون القدماء يحرصون على عفاف المرأة، لدرجة أنهم كانوا يحكمون على الزاني بقطع أعضائه التناسلية، وعلى المرأة بقطع أنفها إن كان الزنا برضاها، ولكن مع هذا لم يوجبوا حجب المرأة عند الظهور في المجتمعات كالحقول والأسواق، بدليل صور النساء المنقوشة على الآثار... **ويصف ذلك « هيرودوت»** عند زيارته لمصر في القرن الخامس قبل الميلاد في كتابه « **تاريخ العالم** » فيقول : (إن المصريين نظروا إلى مناخ بلادهم الخاص، وأن نهرهم له طبيعة خاصة مغايرة لطبيعة سائر الأنهار، فاتخذوا لأنفسهم عادات وسنن مخالفة من كل الوجوه تقريباً لما يتخذه سائر الشعوب، فالنساء عند المصريين يذهبن إلى الأسواق، ويُمارسن التجارة، أما الرجال فيبقون في البيوت وينسجون.).

- **الهند** : كان الحجاب السائد أصعب بكثير من الحجاب الذي فرضه الإسلام، ففي كتاب لفقيه هندي « **منو** » أو « **مانو** » : (لا ينبغي للمرء أن يجلس في مكان منعزل مع أمه أو إخوته أو بنته، فالشهوات غلابة – وهي تتسلط على الرجل العالم).

وفي أحد الآثار الأدبية أن الملك « **راما** » خرج يوماً من قصره مع زوجته « سيا » فوجد رعاياه ينتظرون بفارغ الصبر عند باب القصر، لإلقاء نظرة عليها، وعندما وجد الملك هذا الجمهور المتلهف حوله، أمر زوجته بقوله :

---

(١) مجلة العربي – عدد مارس سنة ١٩٦٩ م.

(يا سيدة « **ميثيلا** » ارفعي نقابك، ثم التفت إلى الناس وقال لهم تطلعوا دون غضاضة إلى زوجتي، ولتسل الدموع على وجوهكم مدراراً، فلا إثم في النظر إلى النساء عند التضحية، وفي الزفاف، وعند الكارثة، وفي الغابة).

- **فارس** : كان الحجاب مفروضاً على نساء فارس، وقد بلغ فيه الضيق بالمرأة المتزوجة إلى درجة بحيث يحرم عليها النظر إلى أبيها وأخواتها وكذلك يحرم عليهم النظر إليها(١).

وبالنظر إلى الرسوم والنقوش الفارسية القديمة : **لا تجد أثراً للمرأة.**

- **اليونان** : كان الحجاب شائعاً في البيوت اليونانية القديمة، وقد تكلم عن الحجاب أقدم مؤلفي اليونان، حتى يروى أن امرأة الملك «عوليس» ملك جزيرة «آيتاك» كانت تظهر متحجبة، وكان نساء مدينة « ثيب » يحتجبن بحجاب خاص، وهو عبارة عن غطاء يوضع على الوجه وله ثقبان أمام العينين لتنظر منهما المرأة(٢).

ففي أثينا : حجبت المرأة الحرة، ولازمت البيت الذي يحكم أغلاله، وتمنع كل صلة توصل إليه الرجال عند غياب الرجل، وأعفيت منه الإماء والبغايا . ومن عاداتهم عدم رؤية الزوجين أحدهما للآخر إلا ليلة الزفاف، ولم يكن زواج المرأة مخولاً لاختلاطها بالرجال أو خروجها من المنزل، فهي لا تستقبل في بيتها إلا النساء أو الأقارب، وكان مُجرد حضور الزوج مصحوباً بإحدى أصدقائه سبباً في اختفائها واحتمائها بالغرف الخاصة بالنساء، ولا يسمح بخروجها من المنزل إلا لسبب وجيه كزيارة قريبة أو عيادة

(١) كما ذكر (وول ديورانت) في كتاب « تاريخ الحضارة ».
(٢) نقل محمد فريد وجدي في دائرة معارفه عن دائرة معارف « لاروسّ ».

مريض، وعند الخروج يوضع عليها حجاب ثقيل يخفي معالم وجهها.

وفي أسبرطة[1]: كانت الفتيات يظهرن أمام الناس سافرات، ولكنهن متى تزوجن احتجبن عن الأعين، وقد كان النساء حصلن على شيء من الرخصة، فقد دلت النقوش على أنهن كن يغطين رؤوسهن ويكشفن وجوههن فقط، ولكنهن متى خرجن إلى الأسواق وجب عليهن الاحتجاب، سواءً كن عذارى أم متزوجات.

يقول **المودودي**: كان الحجاب شائعاً في البيوت اليونانية العالية، وما كان النساء يشاركن في المجالس المختلطة، وكان يعد زواج المرأة وملازمتها لزوجها من أمارات الشرف. وبهذا كانوا يمقتون العهر والدعارة، مع ممارسة المرأة لها في أحياء البغايا. وإذا كانت هناك مفاسد، فهي من الرجال مع أنهم يطلبون عفة المرأة.

– **الرومان**: كان الرومان في عهودهم الأولى يحجبون النساء ويلزمونهن البيوت[2] وبلغ من تشددهم في حجبها أن القابلة « الداية المولدة » كانت لا تخرج من دارها إلا مخفورة، ووجهها ملثم بعناية بالغة، وعليها رداء طويل يلامس الكعبين وفوق ذلك عبارة لا نسمح برؤية شكل قوامها... فلما أثري الرومان في عهد الإمبراطورية أخرجوا النساء لحضور مجالس الأنس، فأسرفن في الزينة والخلاعة، وتدخلن في السياسة، وساءت أحوال الدولة بسببهن، فقامت صيحات ضدهن، أشهرها حملة « كاتو »، ولكنه لم يفلح. فكانت معارضتهن ومعارضة أنصارهن قوية، تريد حمايتها للتمتع بكامل حريتها في التزين والتبرج.

(١) يقول محمد فريد وجدي في دائرة معارفه عن دائرة معارف «لاروسّ».

(٢) كما ذكرت دائرة معارف محمد فريد وجدي – عن دائرة معارف « لاروس».

المبحث الثالث

وعند عرب الجاهلية :

فمعروف أن عرب الجاهلية كان فيهم بقايا من دين إبراهيم عليه السلام يتمسكون بها ، كتعظيم البيت والطواف والوقوف بعرفة والمزدلفة. كما كان يُوجد فيهم الحجاب بأنواعه، أعني : حجاب الجدر وحجاب الرأس ونقاب الوجه، كما كان يُوجد فيهم إلى جانب من تلبس المهلهل والهفهاف « وهما رقيقا النسيج » ومن تلبس الصفيق وهو الثوب السميك، ولأن الشعر ديوان العرب، فقد رأينا أن نوضح ما أجملناه حول المرأة في الجاهلية حسب ما ورد في أشعارهم [1].

- **حجاب الجدر** : فقد كانت العرب تمدح المرأة القارة في بيتها وتكره الخرَّاجة الولاّجة، من ذلك : قول أبي قيس بن الأسلت :

وتكسل عن جاراتها فيزُرنَها ** وتغفل عن إتيانهن فتعذر

- **وقول كثير :**

وأنت التي حببت كلَّ قصيرة ** عنيت قصيرات الحجال ولم أرد

إليَّ وما تدري بذلك القصائر ** قصار الخطا شر النساء البحاتر

- **وقول امرئ القيس :**

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها * نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

- **حجاب البدن والوجه** : وهذا النوع من الحجاب كان موجوداً عندهم أيضاً، والدليل على ذلك هذه الأبيات التي قالها النابغة يصف المتجردة (**زوج النعمان بن المنذر**) حين سقط برقعها من على وجهها فانحنت على الأرض ترفعه بيدها بينما سترت وجهها بذراعيها، حيث قال :

---

(١) عودة الحجاب : محمد أحمد إسماعيل – دار طيبة – الرياض – ٣/ ٨٣.

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ** فتناولته واتقتنا باليد

- **وقول الشنفرى يمدح زوجته أميمة :**

لقد أعجبتني لا سقوطاً قناعها ** إذا ما مشت ولا بذات تلفت

- **بل كان كشف المرأة العربية لوجهها في الجاهلية** أمارة على خطب عظيم ألم بها والدليل على هذا : قول عمرو الزبيدي :

لما رأيت نساءنا ** يفحصن بالمعزاء شدّا

وبدت لميس كأنها ** بدر السماء إذا تبدّى

وبدت محاسنها التي ** تخفى وكان الأمر جدّا

نازلت كبشهم [1] ولم ** أرَ من نزال الكبش بدّا

فهذا الشاعر الفارس قد أفزعه ما رأى من جري النساء بشدة وفيهن لميس التي بدت كالبدر جمالاً، وقد بدا منها ما كانت تخفيه من شدة الهول والفزع، فانطلق إلى قائد القوم وسيدهم ينازله منازلة الأبطال الشجعان، وهو يرى أن ذلك حتم عليه وواجب.

ومن ناحية أخرى نجد أن الطرف المنتصر كان يجد أن كشف نساء الطرف المهزوم لوجوههن أمارة على الضعف والهزيمة وسبب قوي للتعبير والهجاء.

من ذلك قول سبرة بن عمر الفقعسي :

ونسوتكم في الروع بادٍ وجوهها ** يخلن إماءً والإماء حرائر

وقد اتخذ هذا البيت أيضاً كدليل على أن كشف الوجوه إنما كان من دأب الإماء بخلاف الحرائر.

---

(١) الكبش : سيد القوم وقائدهم.

الفصـل الثاني:

يـزعـم أعـداء الإسلام ودعاة التحرر والسفور: (إن الحجاب خاص بنساء النبي ﷺ، وعدم شموله لغيرهن)..

يزعم أعداء الإسلام ودعاة التحرر والسفور : (**إن الحجاب خاص بنساء النبي ﷺ، وعدم شموله لغيرهن**)..

ودليلهم : أن ورود آيات القرار في البيوت وعدم التبرج والخضوع بالقول، ومنع الخلوة بنساء النبي ﷺ، ووجوب أن يكون كلامهن من وراء حجاب «**خاص بنساء الرسول ﷺ فقط**»، مستندين في ذلك إلى أمور :

- **سياق الآيات في الحديث عن زوجات الرسول ﷺ والتوجه إليهن بالخطاب:**

مثل قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[1] .

---

(١) الأحزاب : آيات ٢٨ – ٣٤.

التعبير في بعض الآيات بما يفيد تميز نساء الرسول ﷺ، على سائر النساء ، كقوله تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾.

وما ورود لفظ البيت في بيان حكمة التشريع بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾.

وقالوا : إن **ابن عباس** عندما سئل عن هذه الآية قال : « **إنها في نساء النبي ﷺ خاصة** ... » وكذلك قال **عكرمة** : إنها نزلت في أزواج النبي ﷺ، وروي عنه أنه قال فيها : « **ليس بالذي تذهبون إليه، إنما هو لنساء النبي ﷺ** ... » وقد روى مثله **ابن سعد عن عروة**.

وقد فهم هؤلاء أن خصوص الحديث عنهن والخطاب إليهن، يُفيد خصوص الحكم بهن، وعدم شموله لغيرهن . فعلى سبيل المثال :

يقول المستشرق **هومفراي بريدو**: حول مُخاطبة الله زوجات الرسول وبناته وكل المؤمنات بالتزام الحشمة في اللباس : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[1].

(بما أنه أصبح عبداً لحب النساء بطريقة عنيفة، فلقد كان كذلك غيوراً من تلك اللواتي تزوج منهن، وهكذا ليجعلهن لا يفكرن فيما يخيفه، هددهُنَّ بعقاب أكثر من العقاب الذي تتعرض له الأخريات في هذا العالم، وفي العالم الآخر في حال خيانتهن له، ولما

(١) الأحزاب : آية ٥٩.

كان بعض التابعين له يترددون مراراً على منزله، ويتجاذبون أطراف الحديث مع بعض نسائه، غاظه ذلك إلى درجة أنه كي يمنعهن من تكرار هذا السلوك، جاء بتلك السور من القرآن، وكأنها كلام الله، حيث يأمرهم بعدم دخول بيت النبي بدون إذن منه، وحتى وإن استضيفوا إلى مأدبة عنده، فعليهم مغادرة المنزل مباشرةً بعد الأكل دون الدخول في حديث مع نسائه، ثم يتابع بأن الله لا يخجل من أن يُواجههم بالحقيقة إذا كان محمد يخجل من أن يُواجههم بها، وفي نفس الباب يحرم محمد ﷺ على نسائه الحديث مع أي رجل إلا إذا كانت وجوههن محجبة، وأخيراً ظل محمد ﷺ يحمل معه هذه الغيرة على نسائه إلى ما وراء القبر، فيما أنه لم يتحمل أن تكون لغيره علاقة بهن بعد موته، فلقد حرم بصرامة على تابعيه أن يتعاملوا معهن ما دمن على قيد الحياة....)[1].

ويقول **قاسم أمين** صاحب كتاب « **تحرير المرأة** » : (أما الحجاب الذي في الإسلام، فإنه مختص بزوجات الرسول ﷺ وحدهم، يقول تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾، وقوله : ﴿ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖ ﴾ .. بناء على أن ضمير الجمع المؤنث راجع إلى أزواج النبي، فتكون الأوامر والنواهي المذكورة بشأن أزواجه ﷺ لا تجاوز بطبيعة الحال غيرهن)[2].

❖ وهنا نقول لهؤلاء إن هذا الفهم غير مسلم به للأسباب التالية :

---

(١) حياة محمد : هومفراي بريدو – من كتاب الغرب حول المسلمين والعرب، خلال خمسة عشر قرناً هل قلت عربي ؟ : محمد قاسمي، وشبانتال داغرون – ترجمة – فقيهي الصحراوي – مراجعة وتقديم / عمر أوكان – أفريقيا والشرق – ص ١٣٥.

(٢) تحرير المرأة : قاسم أمين– ص ٥٦.

المبحث الأول

لأن النبي ﷺ خوطب في أول (سورة الأحزاب) بقولـه تعالـى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾، والمسلمون جميعاً مشتركون في الأمر بتقوى الله وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، فتوجيهه الخطاب لشخص بحكم لا يمنع أن يكون غيره مكلفاً به، إما بهذا الخطاب نفسه، وإما بالقياس عليه، وإما بخطاب آخر. وتخصيصه بالمخاطب وحده يحتاج إلى مخصص قوي، وليس في آيات الحجاب هنا ما يفيده بيقين. والأمور الثلاثة المذكورة في أول الموضوع هي لتخصيص الحديث بهن لا لقصر الحكم عليهن. ولا شك أن هذه الآيات نزلت في شأن نساء النبي ﷺ، وتحدثت عن فنون شتى عنهن، فهل الآداب الواردة فيها خاصة بهن، أو تشمل غيرهن من نساء المؤمنين؟.

المبحث الثاني

لا يجوز أن يتطرق الشك إلى أن بعض الأحكام الواردة في هذه الآيات خاص بنساء النبي ﷺ، وذلك كالتخيير ومضاعفة العقاب على إتيانهن الفاحشة، ومضاعفة الثواب لهن على القنوت لله ورسوله وعمل الصالحات ...

يقول تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾[1].

(١) الأحزاب : آيات ٣٠ – ٣١.

وأن بعض الأحكام عام يشمل غيرهن « **كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله** » يقول تعالى: ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾[1].

المبحث الثالث

أما الخضوع بالقول.. والاستقرار في البيوت وعدم التبرج، وحرمة النظر إليهن في الخلوة بهن، ومنع كلام الغير لهن بغير حجاب « **وهي الأمور المتصلة اتصالاً وثيقاً بالحجاب** » فهي جميعاً أمور مشروعة لنساء النبي وغيرهن... يقول تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[2].. فعدم الخضوع بالقول إن كان نساء النبي ﷺ مأمورات به - **مع ما معهن من إيمان قوي ومراقبة لله واضحة، وطهارة وعفة وانتساب للرسول** ﷺ **وغير ذلك، مما يبعد الشك فيهن** - فهو أولى بغيرهن من النساء اللاتي لا يملكن هذه الميزات.

والاستقرار في البيوت قد رغب فيه الدين بالأحاديث الكثيرة التي تعم نساء النبي ﷺ وغيرهن وإن كانت هذه الآية خاصة بهن، فالحكم معلوم من الأمر بالاستقرار، وجاء النهي عنه تأكيداً للأمر بالاستقرار، وإن كان بمعنى إبداء ما ينبغي ستره، فكل النساء منهيات عنه بعموم قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ

(١) الأحزاب: آية ٣٣.

(٢) الأحزاب: آيات ٣١ - ٣٢.

وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾[١]... وقوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٢].

فقد شملت هذه الآية الأخيرة جميع النساء بقوله :﴿ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بعد آيات الأمر بالاستقرار، وهي أصل في طلب الحجاب ذكرت مع الآيات التي تتصل بها في سورة الأحزاب، وعلل الأمر فيها بدفع الأذى عنهن، والأذى كما يكون بالزنا يكون بغيره.

المبحث الرابع : كما أن حكمة الحجاب، وهو قطع أطماع القلوب المريضة وإذهاب الرجس والتطهير مطلوب الشرع لكل النساء... وقد أجمع جمهور الفقهاء في اشتراك عامة النساء في مشروعية الحجاب[٣].

* * *

---

(١) النور : آية ٣١.

(٢) الأحزاب : آية ٥٩.

(٣) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام – الجزء الثاني – للشيخ عطية – القاهرة – (د – ت).

الفصل الثالث:

تزعم بعض النساء المتبرجات : (أن التبرج من الصغائر، وأن الحجاب مظهر من المظاهر الجوفاء ليست له أهمية ولا ضرورة . وأن حسناتها الكثيرة من " صلاة وصدقات وصيام وحج " ستمحو هذه الذنوب الصغيرة، لأن الحسنات يذهبن السيئات.).

تزعم بعض النساء المتبرجات :(**أن التبرج من الصغائر، وأن الحجاب مظهر من المظاهر الجوفاء ليست له أهمية ولا ضرورة، وأن حسناتها الكثيرة من « صلاة وصدقات وصيام وحج » ستمحو هذه الذنوب الصغيرة، لأن الحسنات يُذهبن السيئات.**) .

❖ **وهنا نقول لأمثال هؤلاء النساء :**

المبحث الأول

إن كل ما نهى الله عنه من الكبائر:

اعلمي أيتها المستهينة بأمر الله المستخفة بغضبه وعقابه، أن كل ما نهى الله عنه في القرآن فهو من الكبائر، خصوصًا هذا التبرج الذي شدد الله فيه بالوعيد والتحذير، وشدد فيه كذلك الرسول الكريم أعظم التشديد...

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا ﴾[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ ﴾[2]... ويقول رسول الله ﷺ: ﴿ أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية ﴾[3].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (دخلت على النبي ﷺ أنا وفاطمة رضي الله عنها ووجدناه يبكي بكاءً شديداً، فقلت له فداك أبى وأمي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ قال: ﴿ يا علي: ليلة أسرى بي إلى السماء رأيت نساءً من أمتي يعذبن بأنواع العذاب، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغها، ورأيت امرأة

---

(١) رواه مسلم: كتاب الزينة -باب (٣٤) حديث (٥٧٠٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب اللباس -باب (٦١) حديث (٥٨٨٥).

(٣) صحيح وضعيف الجامع الصغير: حديث رقم (٢٧٠١) حديث حسن.

معلقة بلسانها والحميم يصب من حلقها، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها، ورأيت امرأة معلقة من ثدييها، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار ، عليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة كلب والنار تدخل من فمها وتخرج من دبرها، والملائكة يضربون رأسها بمقاطع من نار ﴾ ، فقامت فاطمة ﷺ ووجدناه وقالت : حبيبي وقرة عيني ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عنهن العذاب ؟ فقال رسول الله ﷺ : ﴿ يا بنية: أما المعلقة بشعرها يغلي دماغها : كانت لا تغطى رأسها (شعرها) من الرجال، وأما المرأة المعلق بلسانها : فإنها كانت تؤذى زوجها، وأما المعلقة بثدييها : فإنها كانت تفسد فراش زوجها، وأما التي كانت تشد رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها - وقد سلط عليها الحيات والعقارب - فكانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزئ بالصلاة، وأما التي على صورة كلب والنار تدخل من فمها وتخرج من دُبرها والملائكة يضربون رأسها بمقاطيع من نار، فإنها منانة حسادة.. ﴾[1].

من هنا اعلمي : أن التبرج هادم لكل الحسنات.. بل هادم لحقيقة الإسلام، وهو إثم من أكبر الآثام . . .ففكري أيتها السيدة كم مرة أتيت هذا الأمر الكبير، وكم أظهرت من عورة؟ وكم هتكت من حرمة؟ وكم أيقظت من فتنة؟ وكم من عين شرهة التهمت لحمك وتمتعت بجمالك ؟ وكم من نفس مجرمة تشوقت لوصالك؟.. اجمعي يا سيدتي هذه الآثام في كل خروجك ونزهاتك طوال حياتك،

---

(١) من كتاب الكبائر.

فستجدين وزراً كبيراً ثقيلاً تنوئين تحته، ولا تستطيعين حمله يوم الحشر.. إنك تستصغرين كبير الإثم، وهو ذنب آخر مع الذنب نفسه، فإنه من يستصغر الذنب يكبر إثمه على قدر استصغاره له، وإن تصغير الذنب تصغير لأمر الله، وفي تعظيم الذنب تعظيم لأمره سبحانه وتعالى. يقول رسول الله ﷺ : ﴿ المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كالذباب وقع على وجهه فأطاره ﴾ .



المبحث الثاني

صحيح إن الحسنات يُذهبن السيئات مع الندم والتوبة، أما مع الإصرار على المعصية والجرأة والاستهتار بالسيئات، فإن السيئات عندئذ هي التي تذهب بالحسنات وتحرقها حرقاً.

يقول تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١)... فكيف يهون على المسلمة العاقلة المتعلمة أن تحبط عملها وتخسر حسناتها بسعادتها الأبدية من أجل شيء تافه ولذة وقتية، بل ليس هناك لذة إنما هي تعب مضن ومضيعة للوقت والمال في الفسوق والضلال.

يا لهذه المتبرجة من ضالة غافلة، تبيع الجنة بثمن بخس وتشترى الجحيم بثمن غال، لأن المواظبة على هذا التبرج والتجمل تتطلب مالاً كثيراً وصبراً ووقتًا طويلاً، أكثر ما تتطلبه عبادة الله سبحانه وتعالى، ولكن الغفلة والهوى وتمكن الشيطان منها حبب إليها الفجور والعصيان ، وكره إليها الطاعة والإيمان... فكم ضيعت الصلاة من أجل قليل من الأصباغ على وجهها وتنسيق شعرها، فلا تتوضأ لتحافظ على الزينة، ولا تحافظ على الصلاة ، بل إن صلاتها على كل حال حابطة لأنها لم تنهها عن هذا المنكر.

فعن زينب الثقفية ﵂ قالت : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **إذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلاَ تَمَسّ طيباً**﴾ (٢)... وعن أبى هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿ **أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَنَا**

---

(١) الفرقان : آية ٧٠.

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة باب (٣٠) حديث (١٠٢٥).

الْعِشَاءَ الآخِرَةَ ﴾ [١].. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ لا يقبل الله من امرأة صلاة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل ﴾ [٢]. وعن أبي قتادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ لا يقبل الله من امرأة صلاة حتى تواري زينتها، ولا من جارية بلغت المحيض حتى تختمر ﴾ [٣].

وهنا: يقول تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [٤]، كما قال رسول الله ﷺ: ﴿ من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له ﴾، فنحن نفهم معنى هذه الآية الكريمة، ثم نزعم بعد ذلك أننا تعلمنا وتثقفنا، وأننا آمنا بالقرآن؟ وكيف نقرأ في القرآن أمر مولانا وخالقنا ورازقنا ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [٥]... ثم نُصر على مخالفة أمره ولا نخشى غضبه، ونزعم أننا نعقل ونعرف مصلحتنا ونفعنا وأننا على جانب عظيم من الحكمة والحصانة والتنور والتمدين، ... إن من لم يستنر بنور القرآن يظل يتخبط في ظلمات الضلال، بالرغم من حصوله على أعلى الشهادات وأعظم الدرجات العلمية والأدبية.

كيف ترضى المؤمنة التقية التي تتمنى رضا ربها ونعيم الجنة،

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة باب (٣٠) حديث (١٠٢٦).

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه -حديث (١٦٨٢).

(٣) رواه ابن خزيمة والحاكم والدار قطني والطبراني في الصغير والأوسط.

(٤) العنكبوت: آية ٢٩.

(٥) النور: آية ٣٠.

بأن تفقد ثواب صلاتها بالإصرار على هذا المنكر ؟ فتخسر أنفس شيء ينقذها من غضب الله، وتثبت بإصرارها أنها لا تخشاه ولا تبالي برضاه .وهى تخسر كذلك ثواب صيامها، إذ ليس من المعقول أن يتقبل الله منها الصيام- **وهى مصرة على هذا التبرج بل على هذا العري والتهتك** - والرسول الكريم ﷺ يقول : ﴿ **رُب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر** ﴾ [1]... فقد جاعت وصبرت بلا ربح لثواب ولا حسنة، وهى تعتمد على أن حسناتها من (**صلاة وصيام وغيرها**) ستكفر عن تبرجها وكل ذنوبها وأن الله تعالى يقول ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾، وغفلت المسكينة الشقية عن أنها فقدت حسناتها بالإصرار على معصية التبرج، لأن تبرجها مستمر في كل يوم وساعة وكل لحظة من حياتها .. ولذا فإن هدمها مستمر لما تعمل من حسنات، فهي تدخر السيئات وما أكثرها، وتهدم بها الحسنات وما أقلها، فتفقد بذلك رضا الله عنها وكرامتها عنده ونعيم الجنة.

فهل فوق ذلك خسران وهلاك ؟ وهل فوق ذلك جهل وضلال ؟ وهل لذة التبرج التافهة الزائلة تُعد شيئاً بجانب لذة نعيم الجنة الدائمة ؟

إن المتبرجة قدمت الدنيا على الآخرة، وقدمت رضا هواها على رضا خالقها ورازقها، وقدمت لذة التبرج والتبذل على لذة نعيم الجنة، حقًا إن الجاهل عدو نفسه، يقول تعالى : ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [2].

(١) رواه ابن ماجة: كتاب الصيام حديث رقم (١٦٩٠) – عن أبى هريرة ﷺ.
(٢) فصلت : آية ٤٠.

الفصل الرابع:

يقول خصوم الإسلام ودعاة التحرر والسفور: " إن التكشف والسفور عاملان من عوامل تحرر المرأة. فلماذا يمنع الدين الإسلامي المرأة من أن ترتدي ما تشاء؟ لماذا يقيد حرية المرأة في أن تختار ثيابها؟ وترتدي ما تحب؟ أليست هذه حرية شخصية للمرأة؟؟".

المبحث الأول

حرية الشخص لا تتعدى على حريات الآخرين، ولا تخالف تعاليم الدين:

إن الإنسان الذي يعيش في مجتمع ما يُسمى بالحرية المطلقة، لابد أن تكون حريته حرية نسبية لا تتعدى على حريات الآخرين، وبعيداً عن مخالفة الدين وتعاليمه.

وهنا : نسأل أي امرأة: هل تستطيعين أن تفعلي ما تريدين؟ إذا أردت أن تمشي في الطريق العام بدون ملابس على الإطلاق، فهل يمكنك ذلك بدعوى أنك حرة تفعلين ما تشائين ؟

إذا أردت أن تسمعي موسيقى عالية بعد منتصف الليل، فهل تستطيعين أن تستمعي إلى الراديو في أعلى صوت ؟ أو إذا أردت أن تصلحي شيئاً في منزلك والناس نيام، فهل تستطيعين إحضار النجار ليفعل ما يشاء ؟.. وهل تستطيعين أن تتركي سيارتك وسط الطريق أو في المكان الذي تريدينه ؟ وهل تستطيعين أن ترتكبي فعلاً فاضحاً أمام الناس، لأن ذلك من حريتك؟.

وهكذا فهناك آلاف من الأمثلة، فلا يوجد شيء اسمه الحرية المطلقة في أي مجتمع من المجتمعات، ولكنها حرية نسبية، تُعطيك من التصرف الذي تريدينه ما ليس فيه اعتداء على حرية الآخرين. فإذا حدث اعتداء على هذه الحرية فإن المجتمع يتدخل ليوقفك عند حدك قائلاً : هذا ليس من حريتك، لأنك اعتديت على حرية الآخرين.

إن الطريق الوحيد الذي تستطيع به المرأة أن تتمتع بالحرية المطلقة، أن تذهب إلى مكان لا يعيش فيه أحد، مكان تعيش فيه وحدها، دون أن يكون فيه آخرون... فما دام لا يوجد حولها أحد من الناس يراها، فإنها تستطيع أن تفعل ما تشاء.

هذا بعيد عن منطق الدين، وبعيد عن منهج السماء، فإذا كان هو منطق الحياة في الكون، فكيف تُريد المرأة من منهج الله أن يخلق مجتمعاً من الفوضى الذي يضيع فيه كل شئ. الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (1).

ويقول تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ (2)

فهذا هو حكم الله سبحانه وتعالى بالنسبة للمرأة. وهو إخفاء الزينة التي تلفت الأنظار بالاحتشام.

* * *

(1) الأحزاب: آية ٥٩.

(2) النور: آية ٣١.

المبحث الثاني

إن من اختار الدين، فعليه أن يقبل أحكام هذا الدين :

حتى ولو كانت هذه الأحكام تُقيد حريته في افعل ولا تفعل، لأن تقييد الحرية هنا هو لخير الإنسان وليس شراً له... إن هذه الأحكام جاءت من الله سبحانه وتعالى- **وهو أعلم بنا من أنفسنا**- فإذا كانت تُقيد حركتنا، فهي تُعطينا الخير، وتذهب عنا السوء، فلا يوجد دين بلا منهج، إلا أن يحاول الإنسان أن يرضي غريزة التدين فيه، وفي نفس الوقت يفعل ما شاء فيعبد الأصنام أو الشمس، أو غير ذلك مما لا يُقيده بمنهج في الحياة، فيخلص نفسه من تعاليم الله ليفعل ما يشاء، وفي هذه الحالة يكون قد كفر والعياذ بالله، لأنه لا يريد منهجاً سماوياً يُقيد حريته.

* * *

المبحث الثالث

إن الهدف من الحجاب هو صيانة المجتمع من الفتنة، وإبقاء الاستقرار والأمن للمرأة :

فالمرأة التي تتضرر من الحجاب- **بزعم أنهم يقيدون حريتها، بستر ما أمر الله من مفاتنها**- عليها ألا تعترض على منهج هذه الحرية لغيرها، فإذا أباحت لنفسها أن تتزين وتكشف عن مفاتنها، لتجذب إنساناً وتفتنه، فعليها ألا تعترض على قيام غيرها بكشف زينتها ومفاتنها لتجذب زوج هذه المرأة أو ابنها.

من هنا : فالله سبحانه وتعالى قد وضع من القواعد والضوابط ما يمنع الفتنة للمرأة والرجل، حفاظاً لاستقرار الأسرة وأمنها وأمانها، وحرم أي شيء يمكن أن تكون فيه فتنة من امرأة لرجل غريب عنها، ولذلك حرم إبداء الزينة إلا لمحارم المرأة، حرمه الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾[1]. وهؤلاء الذين ذكرهم الله في هذه الآية الكريمة هم من محارم المرأة التي لا تحرص على إبداء زينتها أمامهم.. وحتى إذا فعلت، فإن هذه الزينة لا تثير في نفوسهم أية شهوة، إما لأنهم لم يبلغوا السن التي يحسون فيها بالشهوة، أو

---

(١) النور : آية ٣١.

أنهم تعدوا هذه المرحلة تماماً، بل إن الله سبحانه وتعالى حرم على النساء أن يضربن بأرجلهن كنوع من التحايل لإظهار الزينة التي أخفتها الثياب، وذلك بتعمد اهتزاز الجسم لتظهر مفاتنها، فيقول الحق ﷻ : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1].

* * *

(١) النور آية ٣١.

• المبحث الرابع •

إن الحجاب ليس تقييداً لحرية المرأة ، ولكنه حماية لها :

فلو أن الله تعالى لم يفرض الحجاب، لكان على المرأة أن تُطالب به، لأنه أكبر تأمين لها ولحياتها.. فالحجاب يحقق للمرأة الأمان النفسي في شبابها وعند هرمها : وهُنا :.. كيف يحقق الحجاب الأمان النفسي للمرأة في شبابها ؟... فحينما نتأمل حال امرأة متبرجة، حينما تُريد الخروج من بيتها، لوجدنا أنها تستعد لذلك قبل الموعد بساعتين أو أكثر، تظل حائرة ماذا ستفعل اليوم في تسريحة شعرها؟ وماذا تغير في مكياجها وملابسها وإكسسواراتها؟.

ولحرصها على أن تظل المرأة جديدة كل يوم - كما توهمها وتزين لها إعلانات التلفاز والمجلات النسائية وغير ذلك- نراها تضع على وجهها طبقات فوق طبقات مُستخدمة كل ألوان الطيف دون تمييز، وتطيل ثوبها تارة وتقصره أخرى، جاعلة فتحته مرة من الأمام ومرة من الخلف، وهكذا تظل في حيرة دائمة لا تنقطع ، ما تكاد تخلع ملابسها اليوم وتزيل مكياجها، حتى تفكر فيما ستفعله غداً، ناهيك عما تتكبده من نفقات باهظة وآلام نفسية مُبرحة، حتى ترى صديقتها أو زميلتها في العمل، وقد بدت أجمل منها، أو أنها استطاعت أن تحوز على إعجاب الرجال بدرجة أكبر منها، هنا تنفجر طاقات الحقد والحسد، وتتحول الزمالة أو الصداقة إلى منافسة على الجمال أو إلى مسابقة لاصطياد أكبر قدر من الرجال.

أما المرأة المحجبة بحق فهي في مأمن من هذا كله، فحجابها يستر جسمها كله، فإن كانت جميلة حفظ لها جمالها، وأذهب ما في نفسها من حرص فطري على أن تظهر أمام الرجال بصورة فاتنة جذابة، وحرص مجال ظهورها في زينتها أمام زوجها ومحارمها وأخواتها المسلمات. لتجد ذلك متنفساً مشروعاً لإبراز جمالها.

وهي أيضاً بذلك تحافظ على شعور أختها المسلمة الأقل منها جمالاً، أو التي لم تنل حظها من الجمال حينما ترى أنها في حجابها مثل الجميلة سواء بسواء، فهل هناك أمن نفسي للفتاة أعظم من هذا؟ وكيف يحقق الحجاب الأمان النفسي للمرأة في شيخوختها؟[1]:

فنضارة المرأة موقوتة ، وفترة جمالها - **لو حسبناها** – لن تزيد على خمسة عشر عاماً ثم بعد ذلك تبدأ في الذبول . هب أن امرأة بدأت في الذبول وزوجها ما زال مُحتفظاً بنضارته، قادراً على الزواج، وخرج إلى الشارع ووجد فتاة في مقتبل العمر وفي أتم نضارتها ، وقد كشفت عن زينتها ، ماذا سيحدث ؟ إما أن يفتن بهذه الفتاة ويترك زوجته ويتزوجها، وإما إنه عندما يعود إلى المنزل يلحظ الفرق الكبير بين امرأته وهذه الفتاة، فيزهد في زوجته ويبدأ في الانصراف عنها.

ولكن لو حجبت النساء مفاتنهن عن الرجال، لصارت كل منهن آمنة من فقدان زوجها، ولن تغير نفسه من ناحية زوجتة ، ولظلت محتفظة بحبه لها وإقباله عليها. لماذا ؟ لأن الجمال نمو والنمو في المخلوقات والنبات والحيوان والإنسان لا يدركه المتتبع له، لذلك

(١) لفضيلة الشيخ / محمد متولي الشعراوي – انظر: الفتاوى – ٢/ ٤٥.

تجد الرجل وله ولد ينظر إليه كل يوم فلا يمكن أن يلحظ أنه يكبر ولكن لو غاب عنه شهراً يتجمع نمو الشهر كله وهو بعيد عنه يعود يحس بأنه قد كبر. والفلاح مثلاً : إذا جلس بجوار الزرع لا يلحظ نموه ولا يراه، فإن غاب عنه فترة لا حظ هذا النمو. فالرجل مع زوجته كذلك ، فهو عندما يتزوجها وهي عروس تكون في أبهى زينتها ونضارتها لكن لأنه يراها كل يوم، فإنه لا يلحظ فيها أي تغير، وتكبر وتذهب نضارتها وجمالها من أمامه شيئاً فشيئاً، دون أن يلاحظ هذا الذبول، بل تظل في عينيه هي نفس العروس الجميلة التي زفت إليه.

ولكن إذا نزل إلى الشارع فرأى فتاة أصغر منها وفي كامل نضارتها وزينتها ورونقها، جرت شهوته إلى غمار المقارنة بين ما ينظر في الشارع وما يراه في البيت ، وبين هذا وذلك تتكالب عليه الهموم والحسرات ولا نعتقد أن هذه المقارنة ستسر أي امرأة، فنظرة الرجل في الشارع إلى حسن ظاهر سافر متبذل تبدد رصيد الحب بينه وبين زوجته، ولو لم ير في الشارع ما رآه لما التهبت مشاعره ولا تنبهت غرائزه، من هنا تنحل الأسرة وتنفك المودة العائلية.

فالشريعة الإسلامية حينما تقول للمرأة : أنا حين أمنعك من السفور وأنت في ريحان جمالك وشبابك، فلكي أحميك حينما يزول هذا الجمال وهذا الشباب، أمنعك حتى لا يكون عند رجلك جمال مرئي بعينه إلا أنت وجمالك، فإنه إن رأى سواك وكانت أجمل منك، فإن الحياة تتعكر وصفوها ينتهي... **والعجيب هُنا** : أن المرأة لا تلتفت إلى هذه الحكمة، وهي أن الحجاب حماية لها ولزوجها

ولبيتها. بل تأخذ المسألة على أساس من الحرية الجوفاء، ناسيةً أن هذا التقيد إنما شُرع لحمايتها.

إن التكشف والسفور قيدان مؤلمان يحرمان المرأة حريتها : فالحجاب الإسلامي يُحرر المرأة من هذين القيدين، ويكفل لها حرية عظيمة توفر لها راحة نفسية وطمأنينة قلبية حرمت منها السافرة المتبرجة المتكشفة بدليل :

- **أن الفتاة عند بلوغ سن الحيض تقوى في نفسها رغبة أنثوية أزلية في التجمل والتزين**، ورغبة في ظهورها جميلة، فاتنة جذابة، وهذه الرغبة تحمل الفتاة أعباء نفسية عظيمة، وقلقاً ذهنياً مُتصاعداً، وهموماً أنثوية متزايدة.

(لون البشرة – الطول الزائد – القصر الزائد – النحافة – البدانة – ملامح الوجه – كبر الأنف – ضيق العينين – بثور على الوجنتين.. الخ)، أي فتاة تبلغ سن الحيض وتنجو من أحد هذه الهموم في الشكل والمظهر ؟ أليست هذه الهموم قيوداً نفسية مؤلمة تنعكس على نفس الفتاة كآبة، وعلى ذهنها قلقاً، وعلى أعصابها توتراً ؟.. من يملك أن يقول : إن الفتاة تعيش –وهي تحمل هموم إخفاء هذه العيوب – حرية سعيدة مبهجة ؟.

وهنا: تؤكد الدراسات الاجتماعية والنفسية صدق هذا، وبرهنت عليه بما لا يترك مجالاً لرافض أو منكر... فمن الدراسات الاجتماعية المنشورة في واشنطن أن الفتيات الصغيرات اللاتي تجاوزن اثني عشر عاماً أكثر عُرضة للكآبة النفسية من أقرانهن الذكور، وذلك بسبب انشغالهن الدائم بالتفكير في مظهرهن الخارجي.

وقالت الدراسة التي نشرتها مجلة : جورنال إبنورما سيكولوجي:

إن الشعور بهذه الكآبة يزداد لدى الإناث في فترة المراهقة ويستمر حتى بلوغهن مرحلة الشباب.

وأوضحت الدراسة التي بنت استنتاجها على السلوك الاجتماعي لمجموعة كبيرة من طلاب وطالبات المراحل المختلفة في الولايات المتحدة : أن هذا الشعور يقل أو ينعدم أحياناً، عندما تشعر الفتاة بالرضا عن نفسها. وأن شعور الكآبة متساوٍ عند الذكور والإناث قبل البلوغ، لكنه يزداد عند الإناث بعد سن الثانية عشرة، وأن الفتاة الكئيبة – نتيجة لقلقها العام على مظهرها الخارجي – يسودها اقتناع تام بأنها قصيرة القامة جداً أو طويلة القامة جداً، أو نحيفة جداً، أو بدينة جداً، كما يسودها شعور بأن ملامح وجهها مخيفة... وبتأمل هذه الدراسة نجد أنها خرجت بهذه النتائج : تبدأ الفتاة بالقلق والشعور بالكآبة عند سن الثانية عشرة، وهذا السن عادة هو سن بلوغ الأنثى، وهو في الوقت نفسه الذي فرض فيه الإسلام الحجاب على المرأة.

فالإسلام يحميها إذن من تلك الكآبة النفسية، وذلك القلق الذهني قبل بدئهما، فعن عائشة رضي الله عنها ﴿ أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها وقال : ﴿ يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لن يصلح أن يُرى منها إلا هذا وذاك ﴾ وأشار إلى وجهه وكفيه [1].

– **إن الشعور بالكآبة يقل أو ينعدم أحياناً عندما تشعر الفتاة**

---

(١) أخرجه البيهقي وأبو داود، مشكاة المصابيح حديث رقم (٤٣٧٢).

بالرضا عن نفسها، وهذا ما يوفر الحجاب قدراً كبيراً منه للفتاة، حين يُطمئنها إلى أنها مثل غيرها في حجابها، وأن أحداً لا ينظر إليها... فالفتاة الكئيبة نتيجة لقلقها العام على مظهرها الخارجي يسودها اقتناع تام بأنها قصيرة أو طويلة أو نحيفة أو بدينة.. والحجاب ينجيها من هذا أيضاً، لأن مواصفات الحجاب الإسلامي تستر الكثير من هذه المواصفات الجسدية... « **فالحجاب الإسلامي**» يجب أن لا يكون ضيقاً أو ألوانه زاهية أي أن يكون الثوب فضفاضاً واسعاً، لا يُبرز شيئاً من الجسم.

- **إن المظهر الخارجي على اللباس يحمل أعباء مالية ونفسية للفتاة التي تقتنيها - متابعة للموضات، ومنافسة للزميلات والصديقات والقريبات في الظهور بما يشد أنظار الشباب إليهن-** وهذا أيضاً يُريح الفتاة منه الحجاب، فلا تحتاج إلى كثرة التغير من لباسها إذا ما أرادت الخروج إلى الشارع أو الذهاب إلى مدرستها أو عملها إذا كانت عاملة، لأنها تذهب إلى هذه الأماكن جميعها وغيرها في حجابها الذي له مواصفات ثابتة.

- **إن الحجاب يُخفي شيب المرأة ويُخفف عنها كثيراً من قلقها إزاءه إذا لم يلغه تماماً** : ففي دراسة إحصائية قامت بها إحدى شركات صناعة أصباغ الشعر الشهيرة : جاء أن سبعاً من عشر نساء فوق الخامسة والثلاثين من العمر، يقمن بصباغة شعرهن عندما يظهر فيه الشيب، كما أن ٢٤٪ من النساء يستخدمن نوعاً من الأصباغ الخاصة بالشعر، سواءً أكان هناك شيب في رؤوسهن أم لم يكن.

..**مما سبق** : نجد أن الحجاب يُحرر المرأة من الكآبة النفسية والقلق الذهني والتوتر العصبي الناتجة جميعها عن حرص فطري لدى المرأة، على الظهور جميلة، معجبة فاتنة.

ويُحصر مجال ظهورها في زينتها أمام مجموعة قليلة من أقاربها الذين لن يُسببوا لها الكآبة النفسية إذا لم تظهر أمامهم جميلة « **مثل: زوجها ووالدها ووالد زوجها وأبنائها وإخوانها وأبناء إخوانها أو أخواتها** » .

– **والتكشف والسفور يشكلان قيدين على المرأة،** حيث يمنعانها من تقدم كفاءتها، ويُحولان دون ممارسة العدالة تجاهها، ويحرمانها من حقوقها الإنسانية والطبيعية المجردة البعيدة عن شكلها ومظهرها.

فمثلاً : إذا أعلنت جهة من الجهات عن حاجتها إلى موظفة للعمل، حسب قُدرات وخبرات معينة، وتقدمت مجموعة من النسوة إلى هذه الوظيفة، وهن يحملن معهن شهادات ووثائق تُثبت ما يملكن من قُدرات وخبرات، ولكن اللجنة المكلفة باختيار الموظفة لم تنظر في هذه الأوراق بقدر نظرها إلى شكل الموظفة، ومدى جمالها وقوامها وجاذبيتها، فهل يعد هذا تحريراً للمرأة وعدلاً في اختيار الموظفة الصالحة للعمل ؟.

ومثال أخر : إذا كانت امرأة تحاور رجلاً بهدف إقناعه بوجهة نظرها في قضية من القضايا وتعرض أدلتها وبراهينها، وفي نفس الوقت ينظر الرجل إلى شعرها تارة وإلى ذراعها تارة أخرى وإلى رقبتها تارة دون أن يهتم بما تعرضه من أدلة وبراهين.

وهنا : ألم تر المرأة في نظرات الرجل هذه- وانصرافه عن سماعها باهتمام وتركيز -امتهاناً لها، ونيلاً من حريتها في عرض أفكارها والاقتناع بها، دون تأثير سلبي أو إيجابي من شكلها وجسمها ومظهرها ؟.

* * *

الفصـل الخامس:

يقول دعاة التحرر والسفور: «إن التبرج هو ما تقتضيه مدنية العصر الحاضر، وأنه عنوان العلم والتحضر والتنور، وأن الخمار أصبح من مخلفات العصور الغابرة، وشلا يتفق مع حضارتنا، وأنه يحط من قدر المرأة المتمدينة، ويصفها بالجهل والتأخر».

❖ **فعلى سبيل المثال :**

يقول (قاسم أمين) : « إن الكل متفقون على أن الحجاب هو سبب انحطاط الشرق، وأن خلع الحجاب هو سر تقدم الغرب»[١]... **ويقول أيضاً :** « أول عمل يُعد خطوة في سبيل حرية المرأة هو تمزيق الحجاب ومحو آثاره » [٢]... **ويقول أيضاً :** « يجب على المرأة المصرية أن تكون مثل المرأة الأوروبية أكثر تحرراً، فالبنات في سن العشرين يتركن عائلتهن ويُسافرن من أمريكا إلى أبعد مكان في الأرض وحدهن، ويقضين الشهور والأعوام متغيبات في السياحة، متنقلات من بلد إلى آخر، ولم يخطر على بال أحد من أقاربهن أن وحدتهن تعرضهن إلى خطر ما، وكان من تحررها أن يكون لها أصحاب غير أصحاب الزوج، والرجل يرى أن زوجته لها أن تميل إلى ما يوافق ذوقها وعقلها وإحساسها، وأن يعيش بالطريقة التي تراها مستحسنة في نظرها.. » [٣].

وهذه (أمينة السعيد) صاحبة مجلة حواء المصرية تقول : « **عجباً لفتيات مثقفات كيف يلبسن أكفان الموتى وهُن على قيد الحياة** » [٤].

❖ **وهنا نقول لهؤلاء وأمثالهن :**

---

(١) المرأة الجديدة : قاسم أمين – مطبعة الشعب – مصر – ص ٢٠٩.

(٢) المرجع السابق – ص ٢٠٩.

(٣) المرجع السابق – ص ٧٠.

(٤) عودة الحجاب : محمد إسماعيل مقدم – دار طيبة – الرياض – (د. ت) – ١/ ١٢٦.

المبحث الأول

إن أهم ما يميز الإنسان عن الحيوان اتخاذ الملابس وأدوات الزينة:

يقول تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾[1].

والملابس والزينة هما مظهران من مظاهر المدنية والحضارة، والتجرد عنهما إنما هو ردة إلى الحيوانية وعودة إلى الحياة البدائية... والحياة وهي تسير سيرها الطبيعي لا يمكن أن ترجع إلى الوراء ، إلا إذا حدثت نكسة ما بتبدل آرائها وتغير أفكارها، وتجعلها تعود ناسية أو متناسية مكاسبها الحضارية ورقيها الإنساني، وإذا كان اتخاذ الملابس لازماً من لوازم الإنسان الراقي، فإنه بالنسبة إلى المرأة ألزم لأنه الحفاظ الذي يحفظ عليها دينها وشرفها وكرامتها وعفافها وحياءها، وهذه الصفات ألصق بالمرأة وأولى بها من الرجل، ومن ثم كانت الحشمة أولى بها وأحق.

إن أعز ما تملكه المرأة الشرف والعفاف والحياء ، والمحافظة على هذه الفضائل محافظة على إنسانية المرأة في أسمى صورها، وليس من صالح المرأة ولا من صالح المجتمع أن تتخلى المرأة عن الصيانة والاحتشام، ولا سيما أن الغريزة الجنسية من أعنف الغرائز وأشدها على الإطلاق، والتبذل مثير لهذه الغريزة ومطلق لها من عقلها ، ووضع الحدود والقيود والسدود أمامها مما يُخفف من حدتها ويطفئ من جذوتها ويُهذبها تهذيباً جديراً بالإنسان

---

(١) الأعراف : آية ٢٦.

وكرامته... من أجل هذا عني الإسلام عناية خاصة بملابس المرأة، وتناول القرآن ملابس المرأة مُفصلاً لحدودها على غير عادة القرآن في تناول المسائل الجزئية بالتفاصيل، فيقول عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

ومعنى ذلك : أن الله سبحانه وتعالى يأمر رسول الله ﷺ أن يكلف زوجاته وبناته ونساء المؤمنين بالحجاب الذي فرضه عليهن صيانة وستراً، فيعرفن بالحشمة والوقار فلا يتعرض لهن الفساق والفجار، فالمرأة إذا احتشمت عُرفت بالعفة والستر والوقار. بينما العاريات المستهترات يغرين الفساق والفجار بهن، فيتعرضن لمعاكستهم ومضايقتهم، ويحدث بينهم بعد ذلك ما لا يُحمد عقباه.

ويُولي **القرآن** عناية فائقة **بالحجاب**، فيبين ما يحل كشفه وما يجب ستره : فيقول تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ ﴾[2]... فنجد أمره تعالى للنساء بستر نحورهن وصدروهن بخمرهن لئلا يرى منها شيء ، في قوله تعالى : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾.

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها : « أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ﷺ في لباس رقيق يشف عن جسدها. فأعرض عنها

(١) الأحزاب : آية ٥٩.

(٢) النور : آية ٣١.

النبي ﷺ وقال: «**يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا**) وأشار إلى وجهه وكفيه » ويوضح القرآن والسنة: عدم إبداء الزينة بجانب الخمار:

فنجد في قوله تعالى ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ حيث إنه لم يتعين زينة في أي مكان بالجسم أو الثوب، فإن ذلك يدل على أن كل عضو قد يكون فيه زينة وفتنة.. وهنا فالخمار وحده لا يكفي مع التجمل والتزين. فقد أعقب الله قوله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾... يقول رسول الله ﷺ: « **أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية** »[1]... وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الآخِرَةَ** »[2].

وقد نهى سبحانه أن يضرب النساء بأرجلهن الأرض حتى لا يسمع صوت الخلخال فتتحرك الشهوة في قلوب الرجال، يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[3].

* * *

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة حديث رقم (١٠٢٦) وأبو داود والنسائي.

(٣) النور: آية ٣٠.

المبحث الثاني

أي تقدم حضاري هذا الذي يستوجب من كشف المرأة ساقيها لكي تُواكبه ؟ :

وأي عمل هذا الذي يتعطل وتقل كفاءة وفاعلية المحجبات بسبب حجابهن لا غير ؟ لقد رأيناهن بين الطبيبات والمدرسات والعاملات الناجحات. وكلنا يعلم أن الحجاب ساد المجتمعات الإسلامية ذات الحضارة التي يشهد لها التاريخ أنها سحقت إمبراطورية الفرس والروم -على سفور نسائهم ودعارتهن- كما شهد التاريخ حضارات ما قبل الميلاد بسبب المجون والرقاعة وخلاعة النساء ؟ أليس كذلك؟ فأين التقدم إذن ؟ إن المدنية لتتبرأ من قوم مزقوا ثوب الحياء.

انظروا معي إلى الإنسان الأول في حياته الوحشية الأولى ، وإلى الشعوب الزنجية المتوحشة تروا أن أبرز ما تمتاز به هو العري والإباحية في العادات وجدل الشعر والتزين بالريش و العظام والقواقع والحلي البراقة الزاهية، وتغير لون الشفاه والخدود والعيون وإطالة الأظافر والرقص العنيف. هذه هي همجية الشعوب المتأخرة، وهذا هو ما تتقهقرت إليه الشعوب الغربية بخطى واسعة سريعة، وهي تجرف معها الشعوب الشرقية المقلدة الغافلة الساذجة، التي فقدت شخصيتها حين أعرضت عن تعاليم الإسلام الصحيحة. فاتبعتها في تأخرها لا في تقدمها، وفي همجيتها لا في مدنيتها... وسارعت النساء المسلمات إلى تقليد المرأة الفاجرة اللاتينية، وظنن أن هذا التهتك هو ما يستلزمه نظام القرن العشرين ورقيه، كأن الله لا يدري من شؤون الحضارات ما يدرين، وكأن الناس أعرف بما يصلحهم من رب العالمين، فما أعظم شقاءكن يا

من تعبدن (**المودة**) وتكفرن بكتاب رب الأرض والسماوات ؛ **أقول لكُنَّ** : ماذا جرى لعقولكن حتى فجرتن مع الفاجرات وقلدتهن تقليداً أعمى صاغرات ؟.

عجباً لَكُنَّ : إذا أمر الله تعالى جادلتن وعارضتن وقلتن : سمعنا وعصينا ، لن نستطيع مخالفة عصرنا، ولا نبالي بمخالفة ربنا، لا نطيق الخمار في هذا الحر، ولا نطيق أن نكون عُرضة لسخرية الناس. فهل تطقن أن تكُنَّ عُرضة لعذاب رب الناس ؟ ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾[1].

يا أيتها المقلدة التي تقلد غيرها تقليداً أعمى، واهمة أن ما يعلمه كل الناس لابد أن يكون حقاً، لأنه رأي الأغلبية الغالبة... لقد جرفك تيار مدنية عصرك الكاذبة وأغرقك سيل الفسق والفجور، لأنك أسيرة الهوى. ضعيفة الإيمان، جاهلة بدينك هاجرة للقرآن.

أيتها المسلمة الغافلة : نساء عصرك فجرن فلم تقلدينهن.. نساء عصرك يهمن في ضلال، فلماذا توافقيهن، ألا تعلمين أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ من أحب قوماً حُشر معهم ﴾ .. وقال أيضاً: ﴿ من تشبه بقوم فهو منهم ﴾ وقال: ﴿ لا يكن أحدكم إمعة. يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت. وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم ﴾ ...ويقول رسول الله ﷺ : ﴿ لا تزال طائفة من أُمتي على الحق ظاهرين، ولا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة ﴾ .

---

(١) التوبة : آية ٨١.

المبحث الثالث

التبرج وباءٌ ومرض وقبح :

إن المرأة المسلمة لم تستوعب الأخطار السلبية للمجتمع الغربي، وانخدعت بالمظاهر البراقة، وأعجبتها المرأة الغربية وحريتها المزعومة وانطلاقها واختلاطها بالرجل بلا حدود، فذهبت تقلدها تقليداً أعمى باسم التحرر وباسم التمدن وباسم مواكبة القرن العشرين، ناسيات أن النبي ﷺ حذرنا من موافقة المشركين وأهل الكتاب في المعاصي والمخالفات، وحذرنا من اتباع سنتهم، فقد أخرج الإمام مسلم بسنده – عن أبي سعيد الخدري : قال رسول الله ﷺ: ﴿ لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في حجر ضب لا تبعتموهم ﴾ ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ ﴾ .

وهنا : وعلى الرغم من هذا التحذير : نجد أن بعض النساء المسلمات يُقلدن المرأة الغربية في ملبسها ومأكلها وعاداتها وتقاليدها « إما بإرادتهن جرياً وراء التقليد الأعمى ، أو لأنهن وقعن ضحية المستشرقين والكفار الذين يضمرون كل الشر للإسلام أو جرياً وراء دُعاة السفور والتحرر والتبرج في عالمنا الإسلامي » .

وهنا نقول لدُعاة السفور والتبرج ومن يتبعهم في عالمنا الإسلامي: إن **التبرج له آثار خطيرة على المرأة** وعلى الرجل وعلى الأسرة وعلى المجتمع كله ... **ومن هذه الآثار** :

١- **السفور يُسيء إلى العلاقات الزوجية** : وذلك بفتورها الناشئ من انصراف الزوج إلى المتعة خارج المنزل وإلى هجره

طويلاً، وعن تحول قلبه عن زوجته إعجاباً بأخرى ، ذلك الإعجاب الذي يجعله ينعى حظه السيء الذي أوقعه في الزواج بمن هي في مؤخرة الركب في نظره. وينعكس هذا الشعور على معاملتها، وبخاصة أنها لن تكون في ساعة من الساعات داخل بيتها في المظهر الجذاب الذي رأى زوجها عليه المتبرجة.

فالمتبرجة تُحاول أن تكون في أكمل زينتها، بينما تكون الزوجة في بيتها في زينتها العادية ، إن كانت ستتزين، لأنها ملت رؤية زوجها، وتكرر جُلوسها معه، فهي لا تُبالي كثيراً بإتقان زينتها. والجديد دائماً يجذب الانتباه، وكل إنسان يكيف شعوره وإحساسه ماجَدَّ في حياته... والرجل لا يسلم أبداً من تحول قلبه -ولو إلى حد ما -عن زوجته التي يراها كل يوم في شكل واحد، مع أنه يرى في الخارج أشكالاً جديدة متنوعة وجذابة، ولا شك أن تحول قلبه عن زوجته ينعكس على معاملته لها، وقد ينتج عنه مُشاحنات ومُنازعات، وهذا بدوره يؤثر على سلوك الأولاد، وقد ينتهي الأمر بالطلاق، فتكون المصيبة الأكبر على الزوجين وعلى الأولاد أيضاً.

وأيضاً : إذا كان السفور يُؤثر على ميل قلب الرجل، فهو يؤثر أيضاً على قلب المرأة، وذلك لكثرة خروجها واطلاعها على رجال هم في نظرها أحسن من زوجها، ولمعاملتها له على قدم المساواة من غير إحساس بأنها زوجته وأنه القوام عليها، ولكثرة النقاش في ظل الحرية والمساواة في المسائل السياسية والفلسفية، وللمعارضات الفكرية التي قد تُباعد بين القلوب.

٢- التبرج يصرف الزوجة عن واجباتها الزوجية والمنزلية:

ويغريها بالتمرد على الوظيفة التي هيأها لها، ويحبب لها الخروج من البيت لعرض مفاتنها... ولا شك أن إهمال الواجبات الزوجية خطر على مُستقبلها ومُستقبل زوجها وأولادها ومُستقبل الوطن كله.

٣- سفور المرأة يُسيء إلى سمعة الزوج :

لأن المرأة المتبرجة المنطلقة إذا كانت معروفة ، حكم الناس بسلوكها على سلوك زوجها، ورتبوا على ذلك نتائج كثيرة « تُسقط هيبته في نفوسهم، ويُعاملونه إذا كان له اتصال بهم في أي مجال من المجالات مُعاملة خاصة تتناسب مع من لا يعرف الغيرة والكرامة » .

ويقوى الحكم السيئ على زوجها بسلوكها إذا كان يصحبها في الطريق والمجتمعات.

فذلك دليل قوي على رضاه بهذا السلوك وتشجيعها عليه، أو على الأقل دليل على ضعف شخصيته، وعجزه عن التحكم في شططها، بخلاف ما لو لم يصحبها، فقد يؤول سلوكها على أنه بغير رضاه أو بغير علمه.

٤- التبرج يُسئ إلى المرأة بالذات :

فالمرأة حين تخرج من بيتها إلى المجتمع المختلط، تُحاول أن تستأثر بنفسها دون زميلاتها بإعجاب الرجال بها، ولفت أنظارهم إليها ، وخصوصاً إذا كانت ذات رشاقة وجمال وغنى في المال، فتراها تسعى لأن تلبس أجود القماش وأحدث الأزياء، وأن تستعمل جميع ألوان الزينة من مساحيق وأصباغ وتجميلات في اليدين

والوجه والخصرين والساقين إلى غير ذلك... وإنها إن وُجدت مع نساء لم يحزن ما حازت حقرتهن وتعالت وتكبرت عليهن، وحسبت نفسها أنها الوحيدة في عالم الحسن والجمال والفريدة بالإعجاب والدلال، وإذا وُجدت مع نساء سبقنها وتفوقن عليها في ذلك حسدتهن، وحقدت عليهن وضاقت بهن ذرعاً، وامتلأت منهن غيظاً، وأصابها هم وغم وحسرة وحُزن..

وهكذا تجدها : إما مُتكبرة مُتعالية. وإما حاقدةً حاسدة.. وهذه أمراض خطيرة في النفس، وآفات مُضعفة للعقل، بالإضافة إلى ضياع الوقت وإهمال البيت لانشغالها أكثر وقتها بصبغ وجهها، وتصفيف شعرها وتجعيده عند الكوافير. وبتجميل نفسها وتنحيل خصرها وتفصيل الألبسة بأزيائها المتجددة، وبزيارة ومرافقة الصحاب والصويحبات في السهرات والمناسبات في باقي الأوقات.

كما وأن خروج المرأة متبرجة متزينة مُخالطة للرجال يُعرض عفافها وعرضها للأذى والسوء والفحشاء، وخصوصاً من قبل الأشرار والسفهاء، فإن وافقتهم خرّبت بيتها وهدمت أسرتها وخانت زوجها، وإن مانعتهم عرّضت نفسها للتهم والظنون والريب والشكوك، مما يؤثر على حياتها مع نفسها وزوجها وأسرتها تأثيراً خطيراً.

٥- السفور يُرهق ميزانية الأسرة :

فالسفور يتطلب كماليات من أجل الزينة، قد تُؤثرها المرأة على الضرورات : فخروج المرأة المتبرجة كثيراً من بيتها، له استعداداته ومطالبه من ملابس خاصة تُناسب كل فصل من فصول السنة،

وساعة من ساعات النهار، وكل مناسبة من المناسبات فرحاً أو عزاءً... وما يتبع ذلك من زينة ومكملات أخرى.. ولا شك أن هذه الكماليات تبتلع جزءاً كبيراً من ميزانية الأسرة عند من لم تحسن التصرف وتغرم بالقشور والمظاهر.

فالمرأة المتبرجة في تفرسها لأزياء الأخريات اللاتي يملأن الطرقات والأسواق لا ترضى أن تكون أقل منهن، فهي تجتهد في اقتناء مثل هذه الملابس وما يتبعها أو أحسن منها.. وهذه الأمور تتطلب عبئاً مالياً كبيراً يؤثر على ميزانية الأسرة. إنها تحاول أن تُقلد هؤلاء النسوة أو تكون أحسن منهن حتى لو كانت طبيعتها أو وضعها الاجتماعي أو الاقتصادي لا يُبرر لها ذلك.

ومن طريف الشعر في غرام النساء بالزينة : بالرغم من حاجتهن إلى القوت الضروري، وبالرغم من تخطي سن الشباب والأمل قول الشاعر :

عجوز ترجي أن تكون صبية * * وقد نحل الجنبان واحدودب الظهر

تدس إلى العطار ميرة أهلها * * وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟

تزوجتها قبل المحاق بليلة * * فكان محاقاً كله ذلك الشهر

وما غرني إلا خضاب بكفها * * وكحل بعينيها وأثوابها الصفر[1]

٦- السفور يُهدد المجتمع بزوال الحياة الأسرية والزوجية وحلول الزنا والبغاء محل الزواج:

وهذا بالتالي يُهدد المجتمع بالفناء نتيجة لقلة النسل، حيث :

---

(١) وكحل بعينيها وأثوابها الصفر

إن السفور يصرف الشباب عن الزواج، وكذلك يصرف البنت عن الرغبة فيه ما دامت المتعة سهلة ميسرة.

فالسفور يُعطي الفرصة للرجل لينفس عن غريزته الجنسية بأية وسيلة من الوسائل، إن لم تكن بالاتصال الجنسي فبما دونه من نظر أو لمس أو كلام أو نحو ذلك. وهذا من غير شك يصرفه عن الزواج، أو على الأقل عن التبكير به وذلك لسببين :

- للشك فيمن يُريد زواجها، فقد تكون على شاكلة غيرها ممن اتصل بهن في عدم الحفاظ على الشرف...والرجل وإن كان يُبيح لنفسه الاتصال بالنساء لا يرضى لزوجته غالباً أن تُدنس شرفها أو عفافها بمثل ما يفعله هو مع النساء.

- ولعدم تقييد نفسه بالارتباط بزوجة واحدة : فالألوان أمامه مغرية وميسورة، وعدم إلتزامة بالتبعات والهموم التي يجرها تكوين الأسرة، ما دام لا يلتزم بمثلها في تمتعه الحر الطليق على ما يظن... ولعل هذا الشعور هو الذي شجع الغرب على كثرة اتخاذ الخليلات بجانب الزوجة الواحدة، حيث لا تكون لهن التزامات كالتزام الزوجة والأسرة.

.. **والمعروف بالطبع** : أن الحجاب يُساعد على الزواج وتكوين الأسرة. فالممنوع يعز طلبه، والمعروض بكثرة مهان تمل النفس منه أو لا تحترمه على الأقل، لقول الشاعر:

منعت شيئاً فأكثرت الولوع * * وحُب شيء إلى الإنسان ما منعا

٧- **للتبرج مضار أخلاقية (نفسية) وجسدية :**

- فقد انتشر في المجتمع أمراض خطيرة وأمراض عقلية ونفسية لم يسمع بها من عاش قبلنا، بسبب الكبت الذي يُعاني منه شباب اليوم نتيجة لرؤيتهم المناظر الخليعة الفاتنة، وعدم قُدرة بعضهم على الزواج.

- وإذا تأملنا حال امرأة متبرجة « حينما تريد الخروج من بيتها» لوجدنا أنها تستعد لذلك قبل الموعد بساعتين أو أكثر، تظل حائرة ماذا تفعل اليوم في تسريحة شعرها؟، وماذا تغير في ماكياجها وملابسها وإكسسواراتها، ولحرصها على أن تظل امرأة جديدة كل يوم كما تُوهمها وتُزين لها إعلانات التلفاز والمجلات النسائية.. ونحو ذلك، نراها تضع على وجهها طبقات فوق طبقات مُستخدمةً كل ألوان الطيف دون تمييز، وتُطيل ثوبها تارةً وتقصره تارة أخرى، جاعلة فتحته مرة من الأمام ومرة من الخلف... وهكذا تظل في حيرة دائمة لا تنقطع، ما تكاد تخلع ملابسها اليوم وتُزيل مكياجها، حتى تفكر فيما ستفعله غداً، ناهيك عما تتكبده من نفقات باهظة وآلام نفسية مُبرحة حتى ترى صديقتها أو زميلتها في العمل وقد بدت أجمل منها، أو أنها استطاعت أن تحوز على إعجاب الرجال بدرجة أكبر منها.. هنا تتفجر طاقات الحقد والحسد، وتتحول الزمالة أو الصداقة إلى منافسة على الجمال أو إلى مسابقة لاصطياد أكبر قدر من الرجال.

- إن الجمال الحقيقي هو جمال النفس المهذبة الطاهرة الذي لم تُشوهه الأصباغ، ولم تقبحه المبالغة في التجميل، وذلك لأن المرأة التي تواجه الرجال مُتوقحة بأصباغها مستعرضة لزينتها ولحمها،

وتجردت من ثوب الحياء، فتفقد بذلك أكبر جاذبية في جمالها وأجمل زينة لوجهها... فجمال احمرار الحياء على وجه المرأة لا تُحاربه الأصباغ... فكيف تفضل المرأة المسلمة الأناقة والخلاعة والفتنة على الإيمان والاحترام والاحتشام ؟؟.

وكيف تُقدم جمال الجسم واللبس على جمال النفس والروح ؟ لا شك أن من تفضل الخلاعة والفتنة على الاحتشام والوقار تُعتبر مريضة نفسية لأنها ضربت بالأخلاق عرض الحائط [1].

- ومن الأضرار الجسدية لنبذ المرأة الحجاب وتبرجها « **إصابتها بمرض : سرطان الجلد** » ، نتيجة لتعرض بشرتها لأشعة الشمس المباشرة، كما ثبت علمياً.. والنساء أكثر عرضة بمرض سرطان الجلد من الرجال. ومن أبرز سرطانات الجلد « **سرطان الخلية القاعدية** » وهي الأكثر انتشاراً. وهذا النوع يهاجم الوجه أو الرقبة، ويشكل خطورة حقيقية على حياة المصاب إذا ما أهمل علاجه.

وهُناك نوع آخر من سرطانات الجلد يُطلق عليه أحياناً « القرحة القارضة » . ويُصيب الخلايا الحاملة للصبغات، وقد يُصيب أي جزء من أجزاء الجسم.. وإن كان ينتشر فوق أرجل السيدات، ويكشف هذا السرطان عن نفسه بمتغيرات ملحوظة في لون الجلد، أو من خلال الإحساس بالحكة، وأحياناً بتطور الأجزاء المصابة إلى حالة من الإدماء أو النزيف... وثمة نوع ثالث نادر يظهر على شكل حُبيبات في حجم حبات القمح على مؤخرات الأكف وأعلى الرأس والأذنين والشفتين.

---

(١) التبرج : لنعمت صدقي - ص ٣٥ - ٣٦، وكذلك اللباس والزينة : د. محمد عبد العزيز عمر - ص ٤٤٨.

وهُنا لوحظ : أن الأشعة فوق البنفسجية يُشجع على انتشار سرطان الجلد بل ويتسبب في دخول الجلد مرحلة الشيخوخة قبل الأوان... **وعموماً**: فقد أكدت الأبحاث الحديثة :

أن النساء اللواتي يأخذن حمامات الشمس بالمايوه البكيني يتعرضن للإصابة بسرطان الجلد ١٣ **ضعفاً** عن النساء اللواتي يرتدين المايوه من قطعة واحدة تغطي الظهر، وهذا يعني أن المرأة المحجبة أقل نساء الأرض عُرضة للإصابة بسرطان الجلد، لأنها تستر جسدها كله من أشعة الشمس... إن التعرض للأشعة فوق البنفسجية يُشجع على انتشار سرطان الجلد، بل ويتسب في دخول الجلد مرحلة الشيخوخة قبل الأوان.

ويقول **أحد الأطباء** إنه توجد في جسم كل إنسان أوروبي حوالي ثلاثين ندبة، ويعود سبب وجود الندبات المرضية منها إلى أشعة الشمس ويتحول بعضها تلقائياً إلى النوع الخبيث. إن سرطان القرحة القارضة أكثر انتشاراً بين الأوروبيين، وينتج عن التعرض لأشعة الشمس لفترات زمنية طويلة، ويظهر على شكل تقيحات بيضاء أو في لون اللحم البشري، ثم يستمر في التطور على مدار السنوات... وبالطبع تظهر التقيحات على المناطق المعرضة للشمس من جسم الإنسان كالوجه..

– أن المبالغة في التزين يؤدي إلى كثير من الأضرار « كما ذكر كثير من الأطباء المختصين » ... فزينة الشعر قد تُسبب تكسراً في الشعر وسقوطه – أو تُسبب أذى في قرنية العين، وقد يستمر العلاج بضعة أشهر. وصبغ الشعر قد يُسبب حساسية للمريض، كما أن

الإصابة بحساسية البنسلين أو السلفا يتأثران جداً من أصباغ الشعر، فتصاب بتورم حول قاعدة الشعر، وربما سقوط الشعر كله، والمساحيق والدهون التي تُوضع على الوجه، فإنها تُعرضه للإصابة بالالتهابات في الجلد، فيضعف ويُصاب بالتجعد الشيخوخي قبل الأوان.

– وتُسبب الرموش الصناعية غالباً التهاباً بالجفن، أو حساسية للجفن من الصبغ الذي يوضع فوقه، وقد يُعرض أحمر شفاه للتورم أو تشقق الجلد الرقيق... والملابس الضيقة قد تسبب حساسية في الجلد بجانب الضغط على الأحشاء الداخلية، وصبغ الأظفار قد يُسبب تشققاً في الأصابع، وتعرضها للالتهابات والتشوه.

– يُسبب لبس الحذاء ذات الكعب العالي إلى الأضرار الصحية والنفسية والأخلاقية حيث نجد كثيراً من النساء يُبالغن في اختيار الأحذية التي يوجد في أسفل كعبها مسمار، ليسمع الناس صوت خطوات المرأة، ولتلفت الأنظار إليها.. ولم تكتف بالكعب المدبب الطرف، ولا سبب لذلك إلا حب الشهرة والظهور بمظهر الأناقة، بما فيها من تكليف وتقليد للغرب.. وذلك بسبب دور الأزياء التي تعرض ملابس معينة وأحذية خاصة تبعاً للموضة المزعومة.

وهنا : نذكر الأضرار الصحية والجمالية والنفسية والأخلاقية، كما ذكرته إحدى الأديبات وهي (**السيدة : نازك الملائكة**) فتقول : « إن الكعب العالي يضر القدم، لأن الله تعالى خلق القدم مسطحة لحكمة عظيمة تنسجم معها القدم من الجسم، فيساعده ذلك على الحركة والحياة والنمو... والصحة تتطلب أن نلبس الكعب

الواطي والمشية الطبيعية التي تُساعد على الرشاقة والجمال، هي مشية تنبسط فيها القدم، يرجع الصدر إلى الوراء، وكل امرأة سليمة لم تشوه الأباطيل ذهنها تعترف بأن السير بهذا الكعب عسير مُزعج » .

أما أضراره الجمالية : فهي أن الكعب العالي يُضفي التصنع والتكلف على مشية المرأة فتموت الروح الإنسانية الحرة... وسعادة الروح والعقل في أن يكون الجسم حُراً مرتاحاً غير ذليل... والكعب العالي يقتل الروح ويُذلها، لأنه يفرض علينا أن ندرس طبيعة أجسامنا دون سبب وجيه، كما أن الحركة التي لا تتعب الجسم وتنسجم مع بنائه هي الحركة الجميلة دائماً، فالجمال هو انسجام أجسامنا مع الحركات التي نؤديها، والكعوب العالية تقتل الحركة الطبيعية قتلاً، تذل الجسم لأنها تفرض عليه حركات مُصطنعة، وإذا شعر الجسم بأنه ذليل ذلت روح الإنسان.

أما الأضرار النفسية : فهي أن الكعب العالي يُعذب المرأة ويحرمها من السعادة بالمشي والحركة، وكم من امرأة ماتت حماستها وفرحتها بالشمس والحياة، وهي تسعى في الطريق بقدمين ذليلتين مربوطتين تُريد أن تنطلق وتتحرك، وتدعو إلى الحياة والضوء، فتشدها رجل أسيرة وضعوا لها كعباً لا معنى له ولا فائدة ولا جمال.

أما الأضرار الأخلاقية : فهي أن الكعب العالي يُسيء إلى المرأة، وذلك لأن بعض النساء يلبسنه لأنهن قصيرات، فيحاولن بالكعب العالي أن يتطاولن لأن طول القامة من مُعوقات الجمال،

إلا أن التطاول كذب على الطبيعة بالكذب، لأن الكعب العالي وسيلة من الكذب والنفاق.

٨- **شجع السفور على الاغتصاب والزنا :**

- فخروج المرأة شبه عارية متبرجة ومُبرزة مفاتن جسمها، والشباب في طور المراهقة وفي فترة تكون الغريزة الجنسية لديه في أشد أطوارها، ويرى هذه المفاتن فيستسلم للشهوة، فيقدم باغتصاب الفتاة.. وهنا قد يثور والد الفتاة أو أخواتها، وتأتيهم الحمية فيقتلونه، وعلى ذلك يقع القتل الكثير لأنفس بريئة.

والغرب نفسه يعترف بما وصل إليه التبرج :

فقد تحدثت مُحامية أمريكية[1]: عن أسباب انتشار الاغتصاب: فقد وجهت اللوم كله أو معظمه إلى النساء - فأشارت إلى أن ارتداء النساء الملابس الخليعة الفاضحة يُشجع على الاغتصاب. وقالت « **إن الرجل قد يكون وجد الإشباع لغريزته عن طريق الحلال، فيخرج من بيته ليرى هذه المناظر المثيرة، فتدفعه إلى الاغتصاب دفعاً** » .

ولقد أصدرت (**شرطة لندن**) مؤخراً كُتيباً : تدعو فيه النساء إلى الالتزام بقواعد الحشمة في اللباس لمنع تعرض المنحرفين لهن بعد أن بدأت تتصاعد باستمرار جرائم الاغتصاب في بريطانيا... ليس فقط ليلاً وفي أماكن نائية مهجورة، بل أيضاً في وضح النهار وفي الأماكن العامة.

- وعند رفع الحواجز بين الجنسين، وخروج الفتاة بكامل زينتها ومفاتنها، والسماح لها بتبادل الآراء والمشاعر... والاختلاط بينهما

---

(١) عند استضافتها إحدى قنوات التلفزيون الأمريكي.

في العمل والمدرسة والجامعة وفي الخلوة عندئذ يهيج ذلك الميل الطبيعي (**وهو الميل الجنسي الفطري**). **وهنا** : يتعذر على الرجل أو المرأة مُقاومة سلطان هذا الميل، وبذلك يقع المحظور وتُهتك الأعراض.

– وبهذه الأعمال الدنيئة ترتفع الكرامة عن بنى آدم الذين كرمهم الله، بل وينحطون إلى البهيمية، بل أقل من ذلك، فلا يتداعى بناء شعب إلا إذا دبت فيه عوامل الفساد. والتبرج من أكبر عوامل الفساد في جسد الأمة.

– **وهنا** : يترتب على شيوع الزنا آثار خطيرة تفتك بالمجتمع ككل بدنياً ونفسياً واجتماعياً.

– **فالزنا بلاء على الأمة** : فما كثر الزناة في بلد إلا استوجب أهلها الهلاك والدمار بسبب سكوتهم على المنكر، وإغضاضهم على القذى، ومداراتهم أهل الفسق.

– فقد روى أحمد بسند صحيح – عن ميمونة ﵂ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ لا تزال أمتي بخير ما لم يفش – أي يكثر – فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا، فأوشك أن يعمهم الله بعذاب ﴾ . وعن ابن عباس ﵄ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاباً أليماً ﴾ [1].

– **والزنا يجلب لصاحبه الأمراض الخطيرة** التي تفتك الأبدان، وتُنقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء « **كالزهري – السيلان – القرحة الرخوية... إلخ** » .

---

(١) صحيح وضعيف الجامع الصغير حديث رقم (٦٧٩).

- **وتدلنا السُنة النبوية :** على أن الزنا باب للبلاء المفتوح، وسبب للوباء الذي لا ينقطع.

جاء في رواية لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : ﴿ كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس، وأعوذ بالله أن يكون فيكم أو تُدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم قط يعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ﴾. [١]

فقوله ﷺ : ﴿ إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ﴾، إشارة نبوية كريمة إلى اتساع دائرة الأمراض السرية والجنسية، كلما أغرق الزناة في ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن... ولا يزال الأطباء يكتشفون أنواعاً جديدة من معقبات الزنا، حيث تُمثل البغايا وسيطاً مُلائماً لنقل جراثيم الأمراض المعدية من شخص إلى آخر. - وآخر ما علمناه نتيجة السفور وارتكاب جريمة الزنا، انتشار مرض فقدان المناعة **(الإيدز)**، وهو مرض يُهدد حياة الفرد ويتركه رماداً هامداً نتيجة ضعفه في مواجهة الأمراض السارية لانعدام المناعة فيه.

- وفي إحدى تقارير هيئة الصحة العالمية (تُقدر عدد المصابين بالسيلان بأكثر من ٥٠ مليون شخص سنوياً، ويُقدر عدد المصابين بالزهري بأكثر من ٥٠ مليون شخص سنوياً).

- **الزاني يلحق به الفضيحة والعار أينما حل أو سار :** حيث هل تقبل زوجة صالحة عفيفة أن تتزوج زانياً ؟ وهل يقبل امرؤ صالح

(١) صحيح الترغيب والترهيب: حديث رقم (٢١٨٧).

عفيف أن يتزوج زانية ؟..وصدق الله القائل: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(١)].

وفضيحة الزاني قد يكون مصدرها الدنيا أنه لا يستطيع إعفاف زوجته، فيعاقب بانسياقها إلى فعل ما يفعله زوجها من التروي في الحرام، وهو سلوك ينصدع إليه القلب الغيور.

ويكون من نتيجة ذلك أن تدخل عليه ما ليس من نسله، وأن تجعله مضحكة للساقطين من أمثاله، وأن تزرأه بالبلايا من خبيث الأمراض، أو تجعل بيته بُؤرة للفساد، وكثيراً ما تموت الغيرة في نفس الزاني... ورد عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاعنة : « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم، فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته، وأيما رجل جحد ولده -وهو ينظر إليه- احتجب الله منه يوم القيامة وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين »[(٢)].

- إن الزنا يؤدي في معظم الحالات والأحيان إلى ارتكاب العديد من جرائم القتل.

- إن الزنا يؤدي إلى انحلال عُرى الصلاة الوثيقة بين الزوجين، مما يجعل الحياة الزوجية في اضطراب دائم والروابط الأسرية تُصبح شيئاً ليس له قيمة.

- والزنا يخلق جيلاً مُعقداً لا مأوى له ولا يعرف أباً ينتمي إليه.

- ويؤدي الزنا إلى ضعف شباب الأمة وصحتهم : **فقد صرح كيندي سنة ١٩٦٢م** : بأن مُستقبل أمريكا في خطر، لأن شبابها مائع

---

(١) النور : آية ٣.

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان: انظر: الترهيب : حديث رقم (١٤٤٣) .

ومنحل غارق في الشهوات، لا يُقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأنه من بين سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين، لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبيعية.

- ومن آثار الزنا الخطيرة أيضاً : انتشار دور البغاء، وكثرة حالات الإجهاض للتخلص من الحمل المحرم، وكثرة وأد الأطفال الناتجين عن الزنا.

٩- **التبرج شجع على انتشار الشذوذ والعادات السيئة بين شباب الأمة** : وخاصة في مرحلة المراهقة. وذلك بسبب التهيج الشهواني الغريزي الناتج عن التبرج والاختلاط وظهور المرأة بالألبسة الفاتنة والمساحيق المتنوعة.

ومن صور الشذوذ والعادات السيئة الذي انتشرت في الأوساط الغربية، وانتقل عدواه إلى الأوساط الشرقية : « الاتصال بين الجنس وجنسه، كالرجال مع الرجال والنساء مع النساء، وعادة الاستمناء، والاتصال بالحيوانات بدلاً من الإنسان، واغتصاب الأطفال، وارتداء الرجال ملابس النساء الداخلية للحصول على اللذة دون ممارسة الجنس معها، وتعرية بعض الأعضاء الجنسية أمام الجنس الآخر دون ممارسة الجنس بالطريقة السوية، ومزاحمة النساء في الأماكن العامة ، وتعمد الاحتكاك بهن بكلام أو غيره، والإغراق في التأنق بالعطور والأدهان والسلاسل والزهور والملابس الشفافة والضيقة والمشجرة،، والتي لا تتناسب مع الرجولة. الخ » .

١٠- **التبرج من الأسباب القوية المشجعة على**« شيوع المخدرات والعقاقير المقوية لخدمة الناحية الجنسية، ورواج الخمور التي

تقوم عليها الحفلات الماجنة، وشيوع الصور العارية ذات الأوضاع المغرية » .

١١- **شجع التبرج على « إقامة الحفلات المختلفة لمناسبات كثيرة**، وكثرة بيوت الزينة، والتفنن في أنواعها من أدهان ومساحيق وحُلي وزينات أخرى بأشكال جذابة لافتة مغرية، والمرأة مفتونة بها، لا يُمكنها أن تصبر حتى تنال قسطاً تظهر جمالها ، أو تكمل به ما نقص منه . وشجع أيضاً على ابتكار نماذج الملابس والتجديد فيها، وبخاصة ما يبرز منها فتنة المرأة، وافتتحت من أجل ذلك دور كثيرة للأزياء، وأقيمت حفلات لعرضها على أجساد النساء اللاتي تخصصن في فن العرض الجذاب. وشجع السفور على رواج الأدب المكشوف بقصصه وأشعاره وأغانيه وتمثيلياته، وإخراج مجلات متخصصة في عرض هذا " الأدب " ».

١٢- **السفور جعل الناس يستغلون المرأة في مآرب كثيرة** : مثل « في الصحف، وأفلام السينما ودور التمثيل، والإذاعات المسموعة والمرئية، وفي الإعلان عن البضائع وجذب العملاء للتعامل مع المتاجر والمؤسسات، واستخدامها في المرافق العامة المتنوعة كبائعات وعاملات في الفنادق،،، إلى غير ذلك من المآرب » .

١٣- **التبرج يُؤدي إلى ضعف الاقتصاد القومي** : حيث يُصبح توجيه الأمة إلى التسابق في تصنيع أو شراء الأزياء الفاخرة والفاتنة، وكذلك تصنيع وشراء المساحيق والأصباغ التجميلية، حيث إن كثيراً من كماليات السفور تُستورد في كثير من الدول من خارجها، مما يُحول جزءاً من المال الحر خارج الدول مع حاجة

الضرورات المحلية إليه... وهذا كله يُكلف الأمة مبالغ باهظة في مجالات غير مشروعة، ومجالات تؤدي في النهاية إلى انحلال المجتمع وفساده. والأفضل أن تُستثمر هذه الأموال في مشروعات خيّرة تُدر على المجتمع والاقتصاد الوطني أرباحاً تكفي لسد العجز الذي تُعاني منه معظم الشعوب الإسلامية.

– إن المرأة السافرة المتكشفة... تَشغل العاملين عن أعمالهم وتكون سبباً في قلة إنتاجهم وتراجع عطائهم، مما يُضعف الاقتصاد القومي.

– والسفور يؤدي إلى انصراف الشباب وبخاصة طلاب العلم، وفي ذلك خطورة على مستقبلهم ومستقبل الأمة.

* * *

الفصــل السادس:

يقول خصوم الإسلام "إن الحجاب: حجـاب للعقل والفكر والـروح"!

حيث تقول أستاذة جامعية [1] : « إن المرأة إنسان وعقل، وليست جسداً يُغَطَّى أو يُعَرَّى، أنا ضد التعرية وضد الحجاب أيضاً، ضد الحجاب، لأن التغطية والتعرية معناهما أن المرأة جسد وليس عقلاً. الرجل لا يتعرى ولا يتغطى، لأنه عقل والعقل لا يحجب، بل بالعكس هناك شعار يقول : نرفع الحجاب عن العقل، حتى يكون هناك تفكير وحوار، فارتفاع درجة المرأة من الحيوان والجسد إلى الإنسان –وهو العقل– يقتضي عدم التعرية وعدم التغطية. الإسلام كرم المرأة والحجاب ليس إسلامياً، تاريخاً وفكراً وديناً، فكرة الحجاب ليست فكرة إسلامية، هي فكرة عبودية ».

وهذا كاتب كبير في مصر [2] : يسخر من الحجاب، لأنه حجاب للفكر والروح، أي حاجز يخفق الفكر والروح، فيقول سائلاً: « هل تدري المرأة – يا تري بأية سرعة يتحول حجاب الوجه حجاباً للفكر ؟ إنها إذا لم تكن تعلم ذلك، فهي إذن لا تعلم شيئاً عن تأثير الظاهر في الباطن.. فالأمر في هذا الصدد لا يقتصر على أن يستتبع حجاب الوجه حجاباً للروح، كما يستتبع سفور الوجه سفوراً للروح، بل يجاوز ذلك إلى كل ظاهر وباطن ».

❖ **وهنا نقول لهؤلاء وأمثالهم:**

---

(١) د. نوال السعداوي (طبيبة وأديبة) – في لقاء نشر بجريدة اللواء الإسلامي بمصر – العدد ٢٨٤ – ٢ يوليو ١٩٨٧ م.

(٢) د . زكي نجيب محمود – في مقال له بجريدة الأهرام المصرية – الاثنين ١٩٨٤/٤/٩م عنوانه (ردة عالم المرأة).

المبحث الأول

إن الإسلام يُريد من المرأة أن تكون عقلاً وفكراً ، وليست إغراءً وفتنة حينما خرجت إلى ميدان العمل أو خارج منزلها.

فالمرأة إذا سترت جسدها وشعرها، كانت عقلاً وفكراً، لأنها في هذه الحالة تتجرد من مُغريات الأنوثة التي تؤثر على الرجال.

فالإسلام يُريد من المرأة خارج بيتها أن تكون عقلاً يُحترم، وليست جسداً يُشتهى، وإذا جلست مع الرجال يكون عقلها هو الميزان الوحيد في التفضيل، ولذلك أمرها بأن تستر كل ما يغري منها، حتى إذا عملت كان لها احترامها وشخصيتها وكيانها كالرجل تماماً، ولذلك وضع الإسلام الحجاب ليوفر للمرأة هذه الكرامة، وهذه الحرية التي تجعلها تعتمد على عقلها لتتقدم ولتشق طريقها، فالإسلام هنا : لا يريد للمرأة أن تؤثر على الرجل في الحياة العامة بالجنس فالمرأة بالحجاب تأثيرها على الناس عقلي وليس جسدياً، فهم يزنونها بقيمة عقلها وليس بإغرائها أو بمفاتنها ... ولكن الغرب يستخدم جسد المرأة في الإعلانات وتكون متهتكة متبرجة، وتعرض جسدها سلعة رخيصة للرجال، هذا باسم تحرير المرأة وتحرر المرأة، وكلاهما تسمية خاطئة . ولو أردنا تسمية صحيحة لقلنا عبودية المرأة... **وهنا** : إذا نظرنا لما يحدث في العالم الآن، وكيف **تستخدم النساء في إتمام الصفقات المشبوهة وفي توقيع العقود غير السليمة**، وفي أشياء أخرى كثيرة أفسدت الدنيا وأضاعت قيمة العقل والتفكير السليم فيها.

المبحث الثاني

الإسلام أعطى الإنسان العقل الميزة الكبرى على كل شيء، وأداة الاختيار التي يتم عليها الحساب.

والله سبحانه لكي يكون الحساب عدلاً، حرم كل ما يؤثر على العقل أو يُفسده، لأنه يؤثر على أداة الاختيار التي يتم على أساسها الحساب في الآخرة، فحرم الخمر لأنها تغيب العقل وتفقده اتزانه، فلا يعرف كيف يختار، وكل ما يؤثر على العقل ويفسده محرم، لأن الإنسان لابد أن يستخدم عقله في الاختيار بين بدائل الحياة.

فإذا تعطل هذا العقل كأن يكون الإنسان مجنوناً مثلاً، سقط عنه الحساب، والذي ميز الإنسان عن الحيوان هو العقل، فالحيوان يتصرف بالغريزة، ولذلك فهو محكوم بها، وليس له بدائل ليختار منها، يأكل ما يُقدم له، ويفعل ما يطلب منه، وإذا غضب أو ثار فإن أمامه تصرفاً واحداً هو أن يؤذي من أثاره بطريقة واحدة لا تتغير « فمثلاً الحصان إذا هاجمه إنسان رفسه وليس هناك بديل آخر، والكلب إذا أذاه إنسان عضه، وليس هناك بديل آخر. أما الإنسان أمامه بدائل كثيرة، فهو يستطيع أن يرد الأذى بمثله أو بأقل منه أو بأكثر منه، فهذه البدائل والاختيار بينها هي وظيفة العقل في الحياة».

ولكن الحضارة الأوروبية التي تعلن أنها تقدس العقل، تهدد هذا العقل باسم حرية المرأة.

وتستخدم المرأة في التأثير الغريزي على الرجال، وهكذا تنزل بالإنسان من مرتبة إنسانية إلى مرتبة حيوانية، والله سبحانه وتعالى لا يُريد هذا لخليفته في الأرض.. ولذلك فقد وضع من القواعد للحياة ما يحفظ للعقل كرامته وقدسيته، بأن يمنع أي تأثير غريزي عليه في تصريف أمور الدنيا.

المبحث الثالث

الحجاب رمز للدين ، والدين يدعو للتأمل والفكر والعلم، وانطلاق الروح إلى عوالم سامية :

وهنا نقول : لماذا نجري وراء الأفكار القديمة أو الحديثة فقط، ولا نتخذ لأنفسنا عظة نسترشد بها بين تجارب أمتنا طوال تاريخها الحضاري، فقد كنا طليعة الطليعة على مدي قرون من الزمان، ومن الأمثلة المختارة من تاريخنا الحضاري : نساؤكن متحجبات زاهدات، نابغات في العلم والفقه والنحو والحديث والشعر وغير ذلك، وشاركن في الحياة العلمية والثقافية.

فقد كانت السيدة سكينة رضي الله عنها بنت الحسين بن على رضي الله عنه، سليلة بيت النبوة « شاعرة مجيدة، واعترف لها تاريخ الأدب [1] بالسيطرة على عصرها في مجال النقد الأدبي، فاحتكم إليها «لتحكم بينهم» فحول شعراء القرن الأول الهجري (**مثل جرير والفرزدق وكثير ونصيب وجميل**) فكانت تسمح لهم بالدخول إلى منزلها، ولكنها كانت تصدر حكمها الأدبي من وراء حجاب ولم تسمح لنفسها أن تنطق هي بالحكم، ولكنها كانت ترسل إحدى جواريها لتبلغ كل واحد منهم حكم سيدتها، ثم تقوم الجارية بتوصيل الجائزة التي خصصتها سيدتها لكل شاعر منهم وقد ظلت تتمتع بهذه السيطرة الأدبية، حتى وفاتها سنة ١١٧ هجرية » .. **وزبيدة** زوجة هارون الرشيد، نظمت الشعر وناظرت الرجال، وكانت تسمع الشعر من وراء ستار وتصحح أخطاء الشعراء... وكانت السيدة **نفيسة بنت حسن الأنور** من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من فاطمة

(١) كما قالت الدكتورة بنت الشاطئ / والدكتور على إبراهيم حسن.

الزهراء ﵂: « كانت من ربائب العبادة والعلاج والزهد والعلم، قابلها الإمام أحمد بن حنبل في بغداد وهي تعود العالم المتصوف بشر بن الحارث المشهور بالحافي، وكانت متحجبة، فلما سأل وعرف من هي، أبدى احترامه لها لعلمها وورعها.. وقد قدمت مصر وأقامت بها حتى وفاتها سنة ٢٠٨هـ.. فكان بيتها مقصد العلماء والفقهاء وعلى رأسهم الإمام الشافعي وعبد الله بن الحكم، وقد سَمَّع عليها الشافعي الحديث من وراء حجاب، وكانت فوق تقواها وورعها كثيرة الإحساس للفقراء والمرضى المصريين. ولما كثر ظلم أحمد بن طولون للمصريين استجاروا بها، فاعترضت طريقه، وكانت كعادتها متحجبة، ونادت عليه فعرفها، فترجل عن فرسه، وأخذ منها رقعة كانت قد كتبتها جاء في آخرها (فمحال أن يموت المظلومون ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنا إلى الله مستجيرون، واظلموا فإنا إلى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون). فلما قرأ الرقعة سكنت موعظتها في قلبه وأعجب بشجاعتها وفصاحتها وعدل عن ظلم الرعية »[١]...

وأخت المزني صاحب الشافعي، أخذت عن الشافعي وأخذ عنها العلماء، وأدرج اسمها في جدول كبار الشافعية [٢] وكانت ورعة تقية ومتحجبة.

وبدانية العروضية ، جارية أبي المطرف عبد الرحمن بن غليون اللغوي .. التي ذكر خبرها المقري في (**نفح الطيب**)، أخذت عنه النحو واللغة وفاقته، وبرعت في العروض حتى سميت

(١) تاريخ ابن خلكان / خطط المقرزي / وأعلام النساء لعمر رضا كحالة.

(٢) دعوة التقريب – ص ٤٢٠.

(**العروضية**)، وحفظت الكامل للمبرد، والنوادر للقالي ودرس عليها كثير من العلماء هذين الكتابين، وكانت متحجبة وورعة، توفيت سنة ٥٤٠هـ[١] **وفاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي** : كانت عالمة وفقيهة ومحدثة وذات خط جميل، ولها مؤلفات في الفقه والحديث.. تزوجها الكاساني صاحب كتاب « **بدائع الصنائع** » الذي توفي بعدها سنة ٥٧٨ هـ[٢] .

وعائشة بنت يوسف بن أحمد الباعوني وُلدت في دمشق، من بيت علم وأدب، وحفظت القرآن وسنها ثماني سنوات، وتعلمت النحو والعروض والفقه، ونظمت المعجزات والخصائص النبوية للسيوطي.. وقد وصفها المؤرخون بالفضل والتصوف وكانت محجبة، توفيت بدمشق ودفنت، بالصالحية، وقبرها موجود إلى الآن.

وكانت النساء في عصر المماليك متحجبات، يخفين وجوههن بحجاب أو برقع أسود اللون، تصنعه المرأة ، لا يُمَكِّنُ أحداً من رؤية وجهها في حين يُمكِنُها من رؤية كل ما يحيط بها، ولكن ذلك لم يمنعهن من المساهمة بنصيب كبير في الحياة العامة بالقاهرة ، فمنهن من كن يتدخلن في شؤون الحكم، وكان لهن نفوذ كبير، والكثيرات منهن شاركن في الحياة العلمية والثقافية والدينية، فقد نظم الكثيرات منهن الشعر، وتفوقن في النحو والفقه والحديث وغير ذلك.

---

(١) المساواة في الإسلام : د. علي عبد الواحد وافي – دار المعارف – مصر – القاهرة – ١٩٦٠ م – ص ٤٨.

(٢) أعلام النساء.

رابعاً: إن الحجاب منتهى الحرية والاحترام للمرأة : لأنه يُحررها من كل شيء ما عدا التفكير العقلي السليم، والتأثير العقلي السليم، فالحجاب احترام للعقل واحترام للمساواة، والمرأة التي تتعرى هي التي لا تحترم هذه المساواة، ولا يحترمها المجتمع أي مجتمع، فالمرأة التي ترتدي زياً محتشماً، تحترم نفسها أولاً، وتشعر بأنها محترمة في المجتمع الذي تعيش فيه وهذا يكفي، فإن احترام المرأة لنفسها وعقلها، يرفع هذا العقل إلى مرتبة التفكير القويم السليم.



المبحث الخامس

إن تبرج المرأة يدل على جهلها :

فالمرأة الجاهلة الطائشة التي تأتي المنكر لتزدري وتستنكر، والتي تقترف المعصية لتصير سخرية، وما أصدق قول رسول الله ﷺ: « **النساء ناقصات عقل ودين** » فكلما نقص عقل المرأة زاد تبرجها... وكلما ازدادت جهلاً أفرطت في تزينها وتهتكها، وفرطت في جنب الحياء وتمثلت بنساء الجاهلية الأولى، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾[1] وما أحكم المثل الذي يقول «الرأس الفارغة تحتاج إلى الزينة، أما الرأس المملوءة بالعلم، فإنها لا تحتاج إلى الزينة » لأن العلم يزينها، وهو أعظم وأجمل زينة، وصدق الشاعر :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وآية أن التبرج نتيجة الجهل والطيش وصغر العقل أن الطفل يعشق التبرج ويزدهي ويُباهي بثيابه الجديدة، ويُطيل النظر في المرآة كما تفعل المتبرجة ، ولكن الطفل لا يلبث أن ينسى جماله وزينته، أما هي فتقضي حياتها في المرآة، وتحرص على ملازمتها في كل لحظة من حياتها، فتأخذها معها في حقيبة يدها أينما ذهبت لتتمتع بالنظر إلى جمالها، ولتراقب أصباغ وجهها، فهي قائمة على قدم الاستعدادات لتبادر إلى إسعافه بالترميم، مثابرة على فرائض التجمل، تكرس له جل وقتها في خضوع وخشوع، لأنها تجد فيه متعة

---

(١) الأحزاب : آيات ٣٣.

نفسها الضئيلة ولذة عقلها الصغير ، وإنه ليشق على المرأة الطائشة أن تستر جمالها المصطنع، ويؤلمها أشد الألم ألا تفتن الناس بمحاسنها وأناقتها ، وتترقب كلمة الاستحسان من السفهاء فتطربها فرحاً ،وترقص لها طرباً وأعجب العجب أن تحذو حذوها وتعمل عملها مثقفة متنورة متخرجة في الكليات وحاصلة لأعلى الشهادات، فتتغافل عن أمر الله وتتبرأ من الخمار، وتبيح لنفسها ما حرم ربها، مستهترةً بغضبه، متعمدةً مصرة على اتباع هواها ، يقول سبحانه ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1]، فويل لهذه المتعلمة المتجاهلة التي لا تستطيع أن تعصي هواها ، وتستهين بأن تعصي خالقها ومولاها ، وتسمع آيات الله وتفهم أوامره المؤكدة بالاحتشام والاختمار... ثم تُصر على تبرجها مستكبرة، كأنها لم تسمعها، وصدق الله القائل : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2]... أو تظن هذه المتغافلة أن الله جعل إليها الاختيار في شرائعه بما تهوى لها نفسها ، فتختار منها ما تشاء ، وتعصي منها ما تشاء وكأنها في سوق (خردوات) ، تنتقي منه ما يوافق هواها وتترك مالا يوافقه، إذ تطيع بعض أوامر الكتاب وتعصي البعض الآخر. ألم تسمع وعيد الله لها ولأمثالها في قوله ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[3].

---

(١) القصص : آية ٥٠.

(٢) الجاثية آيات ٦ – ٧.

(٣) البقرة : آية ٨٥.

الفصــل السابع:

يقول دُعاة السفور والتبرج: "إن الرجال يتمسكون بالحجـاب ليستبـدوا بالمـرأة، فينفسون عن قهرهم سياسياً واجتماعياً".

❖ **وهنا : نقول لأمثال هؤلاء :**

إن صلة الرجل بالمرأة في منظور القرآن أسمى من أن يزعم أنها مبنية على المودة والرحمة والحب والسكن . ولنقرأ قوله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [1].

وبهذه المعطيات القرآنية أصبحت المرأة بضعة من الرجل، وهو بضعة منها، ومن ثم فلن يكون هناك مجال لممارسة أساليب الاستبداد.. ولتقرأ حديث رسول الله ﷺ : ﴿ **استوصوا بالنساء خيراً** ﴾ [2].

وهل إذا حافظ الإنسان على زوجه أو بنته أو أُخته، وطلب منهن مُراعاة القواعد الدينية والآداب الاجتماعية، وعدم التبذل في المظهر، حرصاً عليهن من التردي في مهاوي الفتنة والرذيلة... هل إذا فعل الرجل ذلك يكون مدفوعاً بعوامل من القهر مكبوتة في صدره، آخذة بخناقه لا يجد لها مُتنفساً.

* * *

(١) الروم : آية ٢١.

(٢) رواه البخاري: حديث رقم (٣٣٣١).

الفصل الثامن:

يزعم أعداء الإسلام ودعاة التحرر والسفور: « أن الحجاب لا يتناسب مع الحياة "العصرية" المنتجة حيث يعوق المرأة عن العمل والإنتاج » .

❖ **فعلى سبيل المثال** : يرى بعض المستشرقين: «.. إن حجاب المرأة المسلمة يُعتبر حاجزاً أمام مشاركة المرأة في الحياة العامة بشكل طبيعي، وعائقاً يحول بينها وبين القيام بدورها كاملاً في الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وعاملاً من عوامل تكريس التهميش والإبعاد المسلطين على المرأة من طرف الرجال في عصر الحرية والمساواة ».

ويقول (**قاسم أمين**) : « **إن الحجاب هو ضرر على النساء وعرقلة في حياتهن اليومية** : فيقول : ... أما الحجاب فضرره أن يحرم المرأة من حريتها الفطرية، ويمنعها من استكمال تربيتها، ويعوقها عن كسب معاشها عند الضرورة، ويحرم الزوجين من لذة الحياة الفعلية والأدبية مع وُجود أمهات قادرات على تربية أولادهن تكون الأمة كإنسان أصيب بالشلل في أحد شقيه »[1].

❖ **نقول لأمثال هؤلاء**[2]:

(١) تحرير المرأة : قاسم أمين – ط (٢) – المركز العربي للبحث والنشر – القاهرة – ١٩٨٤م – ص ٥٦ – ٥٧.

(٢) القرآن والرسول ومقولات ظالمة : د. عبد الصبور مرزوق – القسم الثاني – ص ٣٦، والإسلام في مواجهة حملات التشكيك : للدكتور / محمود حمدي زقزوق – ط (٣) – قضايا إسلامية – وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – العدد (٧١) – القاهرة – ٢٠٠١ م – ص ١١٥ – ١١٧.

المبحث الأول

كل أمة من الأمم لها طابعها الخاص، ولها تقاليدها المرعية في الأكل والشرب والملبس والمسكن... الخ، وكل ذلك يعبر عن ثقافة الأمة وحضارتها وعقائدها، وقد خلق الله الناس مختلفين في كثير من الأمور، وسيظل هذا الاختلاف إلى نهاية الدنيا، وما يصلح لأمة قد لا يصلح لأمة أخرى، فالمرأة الهندية مثلاً لها زي خاص بها (**الساري**) ولا يعيب عليها أحد ذلك حتى في البلاد الغربية، رغم أنه زي قد يكون غير عملي، ولكن تلبسه المرأة العادية في الهند كما كانت ترتديه رئيسة الوزراء الهندية (**أنديرا غاندي**)، ولم يقل أحد إن هذا الزي يعوق المرأة الهندية عن العمل والإنتاج.

والمرأة الأوروبية كانت حتى بدايات القرن العشرين – **في الأعم الأغلب** – تُغطي شعرها وتلبس الملابس الطويلة، ولم يعب عليها أحد ذلك، ولكنها بدأت تطور من زيها إلى أن وصل الأمر الآن إلى الوضع الحالي هناك .

المبحث الثاني

الإسلام– صوناً للمرأة واستبقاءً لحيائها وحماية لها من الأعين الخائنة والنظرات المسعورة– قرر لها الحجاب الذي يستر الجسد ولا يخفى الوجه ولا اليدين.

والوجه مناط التعرف على الشخصية، واليدان مناط إنجاز العمل وبقية وجوه التعامل مع الحياة، ومن ثم فإن الحرص على كشف ما وراء ذلك حرص مشبوه الغاية فاسد الهدف... وليس

صحيحاً أن الحجاب يعوق المرأة عن العمل والإنتاج ، ففي كثير من المؤسسات نجد كثيراً من النساء في أعمار مختلفة يلتزمن بالزي الإسلامي ويُمارسن أعمالهن بطريقة عادية مثل زميلاتهن من غير المحجبات، فهذه التهمة قائمة على غير أساس معقول، ولم يقل أحد بإجراء دراسة علمية تثبت هذا الزعم.

إن كل ما في الأمر أن الغربيين يودون أن يروا قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم تحظى بالسيادة في كل مكان، وهذا ضد طبيعة الأشياء، فكل أمة لها شخصيتها المتميزة، ومن حق المرأة المسلمة أن تكون لها شخصيتها وسماتها المميزة في الملبس والسلوك كما للمرأة الهندية والأوروبية هذا الحق أيضاً.

المبحث الثالث

هناك نساء مُسلمات في عصرنا الحاضر يتقلدن أعلى المناصب ويقمن بعملهن خير قيام رغم ارتدائهن للزي الإسلامي - فالسيدة بنظير بوتو – التي كانت ترأس حكومة دولة من أكبر الدول الإسلامية – ترتدي زياً قريباً جداً من الزي الإسلامي، وتؤدي دورها على خير وجه، ولا يعوقها ذلك عن أداء واجباتها، وكذلك الشأن بالنسبة لرئيسة حكومة بنجلاديش التي ترتدي زياً مشابهاً.

المبحث الرابع: ما حقيقة الحياة « العصرية » المنتجة : لا أدري حقيقة المراد منها، لأن الإنتاج منوط بالعمل وليس بالزي، والزي الإسلامي لا يعطل العمل، والمسلمة متى التزمت بمعطيات دينها تكون أحرص توفية لحق العمل دون رقابة خارجية، وكثيرات من

المحجبات كن صاحبات السبق والتفوق في مجالات كثيرة. أما إذا كان المقصود« بالعصرية » أن ترتدي فساتين السهرة بنمطها المفضوح أو أن تلبس « الميني جيب » أو « الميكرو جيب » أو تعرية نصف الفخذ، فهذه ليست « عصرية » بل هي ردة إلى زمان الغابة يوم كان هذا وأكثر منه في إطار المباح.

وفي مؤتمر أو ندوة عقدت أخيراً في الولايات المتحدة [(١)] عن الاغتصاب، والذي عرضت فيه سيدات متعددات كيف وقع الاغتصاب عليهن ؟. كان لبعض المشاركين في اللقاء - رجالاً وسيدات - تعليق على مظهر هؤلاء النسوة اللاتي اغتصبن هو : أن المظهر الفاضح لهؤلاء السيدات يشجع على الاغتصاب أو على وجه الدقة « يدعو إليه » فالوصول بالمرأة إلى المستوى الذي تتحول فيه إلى فتنة كأنما تقول لمن يراها : **هل من مغتصب ؟**.. هو بكل المقاييس السوية والنظيفة مرفوض، وسيجني دُعاة تعرية المرأة، بل إنهم يجنون فعلاً وتجني المجتمعات معهم نتيجة سوء ما أقدموا عليه، والمؤسف أن المرأة في هذا كله هي الضحية.

* * *

(١) روز اليوسف عدد الأحد ٢١ / ٧ / ١٩٩٥ م ومقال منير عامر " اللحم الأنثوي رخيص جداً ".

الفصـل التاسع:

يقول دعاة السفور والتبرج : "الحديث عن الحجاب هو حديث عن قشور الإسلام، وهناك ما هو أهم من الحجاب، وليس الإسلام كله الحجاب، والعبرة بالكثرة، فأكثر الفتيات والنساء في المجتمع متبرجات، فهل معنى ذلك أن كل هؤلاء ضالات؟؟".

المبحث الأول

إن تقسيم الدين إلى قشر ولب تقسيم غير مستساغ، بل هو محدث ودخيل على الفهم الصحيح للكتاب والسنة، ولم يعرفه سلفنا الصالح الذين كل الخير والنجاة في اتباعهم واقتفاء آثارهم: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[1]... وهذه التسمية إلى قشر ولباب، وظاهر وباطن- **يتبعها المناداة بإهمال الظاهر احتجاجا لصلاح الباطن**- تلقى رواجاً عند المستهترين المخدوعين... لذا فإننا لا نعجب – **نظراً لهذا الفهم المغلوط** – من اعتقاد البعض أن ارتداء المسلمة الحجاب الشرعي هو أمر شكلي ليس له تأثير، لا يقارن بما وقر في القلب. ألم يقرأ هؤلاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[2].

قال ابن كثير [3] : يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك.. **وقال الألوسي رحمه الله** : والمعنى: ادخلوا في الإسلام بكليتكم، ولا تدعوا شيئاً من ظاهركم وباطنكم إلا والإسلام يستوعبه بحيث لا يبقى مكان لغيره.

---

(١) النجم : آية ٢٣.

(٢) البقرة : آية ٢٠٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن كثير – إعداد تحقيق دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠٠ م – ١ / ٣٦١.

من هنا : فإن الحجاب الشرعي ما دام حكماً من أحكام الإسلام، فلا يسع المرأة المسلمة إلا أن تلتزم به، ولا يسع المسلم إلا أن يلزم به أهله وبناته، وليس المعنى هو الاهتمام بالظاهر دون الباطن، وإنما طريق الهدى هو إصلاح الظاهر والباطن معاً، نصلح ظاهرنا باتباع السنة، ونصلح باطننا بدوام مراقبة الله تعالى والخوف منه.

• المبحث الثاني •

إن الاعتبار بكثرة الفتيات والنساء المتبرجات في المجتمع مصيبة خطيرة لو اعتمدنا عليها لهلكنا جميعاً، فهل لو كان الأكثرية تسير في طريق الفاحشة نسير معها، لأنه لا يعقل أن كل هؤلاء ضالون؟؟... وهل الحجاب الذي فرضه الله تعالى على النساء يعتبر لا غياً ومرفوضاً، لأن أكثر النساء متبرجات فاسقات متمردات على أوامر الدين ؟

ثم لنتدبر سوياً آيات الكثرة الواردة في القرآن وآيات القلة حتى تتضح الصورة الصحيحة أمام أعيننا. **فعن الكثرة :** قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[4].

---

(١) يوسف : آية ٢١.

(٢) الإسراء : آية ٨٩.

(٣) الزخرف : آية ٧٨.

(٤) المائدة : آية ١٠٣.

وعن **القلة** : قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[1]، وقال تعالى:﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[3]، وقال سبحانه:﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾[4].

يظهر لنا بعد سرد بعض آيات الكثرة الواردة في القرآن أن الفئة الكثيرة أو الغالبة هي الفئة غير المؤمنة، غير العاقلة، غير الشاكرة، غير الذاكرة، غير العالمة، الكافرة الجاهلة. أما الفئة القليلة فهي الفئة المؤمنة، العاقلة، الشاكرة، الذاكرة، التي تنجو من اتباع الشيطان.

إذن الاعتماد على الكثرة اعتماد باطل وقول ساذج، بل إننا الآن في زمن الغربة، غربة الإسلام، التي يقل فيها المتمسك بدينه، القابض عليه، ويكثر فيها المخالف لتعاليم ربه سبحانه وتعالى، قالﷺ: « بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ »[5].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال : ﴿ **طوبى للغرباء** ﴾، قالوا: يا رسول الله من هم ؟ ، قال : ﴿ أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم ﴾[6].

---

(١) هود : آية ٤٠.

(٢) الأعراف : آية ٣.

(٣) النساء : آية ٨٣.

(٤) الأعراف : آية ١٠.

(٥) رواه مسلم: الإيمان باب (٦٢) حديث (٣٨٩).

(٦) صحيح وضعيف الجامع الصغير حديث رقم (٣٩٢١) حديث صحيح.

لذا فلا تغتر المسلمة بما عليه الكثير من الناس من البعد عن دين الله تعالى، وكثرة مخالفتهم لأوامره سبحانه وتعالى، ولتجعل الميزان عندها هو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فبهما تعرف الحق من الباطل، وبهما سيظهر لها أهل الحق من أهل الباطل، وحينئذ ستعرف أي الطريقين تتبع، وأي الفريقين على الحق.

* * *

الفصــل العاشر:

يقول دعاة السفور والتبرج: " أحرج من كلام الناس، وأخجل من سخريتهم مني بسبب الحجاب، فضلاً عن أن الحجاب يضايقني جداً في الحر ويجعل شكلي غير جميل".

المبحث الأول

إن سخرية المستهترين الغافلين من المؤمنين المستقيمين هي الحرب القائمة منذ قديم الأزل حتى قيام الساعة بين الحق والباطل، بين الكفر والإيمان، بين المعصية والطاعة. والواجب على المسلمة العاقلة الصبر على طاعة الله تعالى، ولا يثنيها كلام المستهترين عن تقوى الله تعالى...**من الذي قال لك** : إنك عندما تسيرين في طريق الهداية والاحتشام، ستجدين الناس على صفي الطريق يصفقون لك، ويؤيدونك ويؤازرونك ؟

لا، بل كلما تمسكت المسلمة بدينها أكثر وأكثر، ازداد ابتلاؤها من الله تعالى ليختبر إيمانها، وهذه السخرية والاستهزاء من الناس من الابتلاءات التي تعتبر يسيرة لو قورنت بابتلاءات أخرى، وهذه سنة الله تعالى الماضية في عباده منذ بزوغ دعوة الأنبياء أقوامهم إلى دين التوحيد، وهذه هي الأدلة :.. قال تعالى : ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[1]... قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[2].

(١) هود : آيات ٣٨ – ٣٩.

(٢) المطففين : آيات ٢٩ – ٣٦.

المبحث الثاني

إن النقد والسخرية منك بسبب استقامتك على دين الله تعالى، لا ينبغي أن تزعزع الثقة بالنفس، والتفاني في مرضاة الله تعالى، بالجهاد المستمر على طاعة الله تعالى، والصبر على الأذى الذي تلاقيه إزاء ذلك، حتى تنعمي بعاقبة ذلك ، وهو الفوز العظيم في الآخرة ، ألا وهو الجنة. عليك أن تلمسي رضا الله تعالى وحده، ولا تُبالي بأي مخلوق لا يحرص على رضا الله تعالى، وانظري إلى الجيل الشامخ من نساء سلف هذه الأمة الذين صبروا وجاهدوا، ولم يثنهم العذاب عن الإيمان بالله تعالى.

فهذه أم عمار بن ياسر : كان بنو مخزوم إذا اشتدت الظهيرة، والتهبت الرمضاء، خرجوا بها هي وابنها وزوجها إلى الصحراء، وألبسوهم دروع الحديد، وأهالوا عليهم الرمال المتقدة، وأخذوا يرمونهم بالحجارة، وهم ثابتون على الدين، فأين سخرية الناس منك ومن حجابك من هذا العذاب في **سبيل الله تعالى ؟**. ومنهن من كانوا يلقونها ويحملون مكاوي من الحديد، ثم يضعونها بين أعطاف جلدها، ويدعون الأطفال يعبثون بعينها حتى يذهب بصرها، ومنهن من كانوا يسقونها العسل، ويوثقونها بالأغلال، ثم يلقونها بين الرمال، ولها حر يذيب اللحم، ويصهر العظم حتى يقتلها الظمأ، إلى غير ذلك من الصور والأسماء المشرفة في عالم النساء اللاتي صبرن واحتملن كل الأذى في سبيل مرضاة الله تعالى والجنة.

فأين الأذى الذي سيلحقك من الناس إزاء هذا العذاب في سبيل الله تعالى ؟ ، وأنا أسألك : هل لو سخر منك بعض الناس من صلاتك ستتركينها ؟ ولو سخروا منك بسبب تأديتك لأي عبادة أخرى، فهل سيكون ذلك مدعاة لك لتركها ؟

من هنا : فلا داعي إذن أن تكون السخرية سبباً لعدم التزامك بالحجاب.

المبحث الثالث

وكيف لا تصبرين أختي المسلمة على سخرية الناس وتزيينهم لك بترك الحجاب وغيره من الأمور الشرعية، والله تعالى يبين لك أن غرضهم إفسادك وإمالتك إلى طريق الشهوات والمنكرات؟ ... يقول تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾[1].

المبحث الرابع

إن احتجاجك أن الحجاب يضايقك جداً في الحر ويجعل شكلك غير جميل :

فهنا أقول لك :إن كنت لا تُطيقين الحجاب بحر الدنيا، فهل ستُطيقين نار جهنم ؟ يقول الله تعالى :﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾[2].

---

(١) النساء آيات ٢٦ – ٢٧.

(٢) التوبة : آية ٨١.

وهل معنى كلامك هذا أنك ستتركين الصلاة أيام الحر مثلاً ؟؟ وهل ستتأخرين عن بعض الطاعات تحت أي مسمى، ويكون مقبولاً ذلك منك عند الله تعالى ؟

... ثم لو فرض صحة ما تقولين وهو بعيد، فإن الصبر على طاعة الله تعالى لا يقارن بأهوال يوم القيامة للعاصين والمنافقين... وأين أنت مما لاقته كثير من المسلمات في سبيل الله تعالى ؟ ولماذا لم يترددن عن دين الله تعالى بسبب ما واجهن من العنت والأذى بسبب إسلامهن ؟.. وإن كنت لا تصبرين على الحجاب، فكيف لو رأيتِ ما رأته النساء من قبلك في سبيل الله ؟ هل كنت ستكفرين بالله تعالى حينئذ ؟ إن المسلمة التقية، والتي امتلأ قلبها بحب الله تعالى، وعينها دائماً على جنة ربها، هي التي يهون عندها كل شيء في سبيل الله تعالى، وإلا فمن قال لك : **إنك ستدخلين الجنة دون أي ابتلاء، ومن الابتلاء طاعة الله تعالى، والصبر على القيام بها.**



الفصـل الحادي عشر:

تزعم بعض النساء المتبرجات: " إن طهارة القلب وسلامة النية كافيان لرضاء الله عنهن بغير حجاب ولا صوم ولا صلاة ،أو غير ذلك من الأمور الشرعية التي لا يصح الإسلام إلا بتطبيقها ".

❖ **نقول لأمثال هؤلاء :**

المبحث الأول

إن هذا جهل كبير.. فكأن الله تعالى يوزع رحمته على الناس بمشيئتهم لا بمشيئته، أو أن الله العدل الذي حرم الظلم على نفسه، وجعله مُحرماً بين الناس، قد تخلى عن صفاته - **حاشا لله** - فأعطى المقصر والمسيء كالمحسن العامل، معاذ لله، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا، الذين يقولون إن الدار الآخرة خالصة لنا من دون الناس يوم القيامة. إن الحق جل شأنه قد بين في سورة الفاتحة : بأنه ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ بعد قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ إشارة إلى يوم الجزاء والحساب، الذي يتهرب منه المقصرون بزعمهم أن الله غفور رحيم . حقاً إنه غفور رحيم ولكن للتائبين لا المذنبين المعاندين، وإلا فما فائدة الجزاء والحساب ؟ ولماذا خُلقت الجنة والنار ؟؟.. يقول عز وجل : ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾[1]، ويقـول سبحانه : ﴿ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[3]. فالرحمة إنما تُمنح بالعمل الصالح والتقوى والإحسان، وليس القلب قبراً يدفن فيه الإيمان، ولا يظهر على صاحبه آثاره.

---

(١) الزلزلة : آيات ٧ - ٨.

(٢) الأعراف : آية ١٥٦.

(٣) الأعراف : آية ١٥٦.

المبحث الثاني

إن القول بأن صلاح القلب وتزكية الروح وصفاء الباطن هو الأصل في الدين، فإذا صفا القلب وطهر الباطن لا حاجة إلى الحجاب مثلا.

فقولهم هذا فاسد يناقض بعضه بعضاً، لأن القلب إذا صلح، والباطن إذا طهر، والروح إذا زكت ، لا محالة يكون السلوك وفق ما أمر الله تعالى بشأنه، ولا محالة أن تخضع جوارحه للاستسلام، وتنقاد أعضاؤه لامتثال أوامر الله والاجتناب عن نواهيه، ولا يجتمع صفاء الباطن وطهارة القلب مع الإصرار على المعصية صغيرةً كانت أو كبيرةً.... إن صفاء الباطن لو كان كافياً لرضاء الله تعالى لما جاء النبي ﷺ، بالأوامر التي تتعلق بالأعضاء والجوارح، ولما نهى النبي ﷺ عن منكرات يكثر تعدادها، ولما لعن ﷺ المتشبهين بالنساء، والمتشبهات بالرجال، ولما لعن الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة ... إلى آخر ذلك.

وهل يعتقد هؤلاء أن الإثم شيء باطني، فيُرجعون الصلاح أو الفساد إلى القلب فقط؟..لقد بين رب العزة أن هناك آثاماً ظاهرة، وآثاماً باطنة، وتبين ذلك من قوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾[1].

وأن الإنسان الذي يدعي أن إيمانه القلبي يكفي لرضاء الله عنه بلا تنفيذ لأوامره، هو كإبليس اللعين. لأن إبليس كان مؤمناً بوجود الله، متيقناً أنه هو الذي خلقه. يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ

(١) الأنعام : آية ١٢٠.

صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[1].... **فكيف** أيتها المتبرجة تدعين أن إيمانك يكفي لرضاء الله بينما ترفضين الانقياد لله الذي أمرك بعدم التبرج ؟ فقال سبحانه: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[2].

* * *

(١) الأعراف : آيات ١١ – ١٢.

(٢) الأحزاب : آية ٣٣.

الفصـل الثاني عشر:

تقول بعض المتبرجات: «إن حُبها لله ورسوله كفيلان برضاء الله عنها بدون عمل».

❖ نقول لأمثال هؤلاء :

إن رضا الله تعالى على المرء : يكمن في اتباع أوامره واجتناب نواهيه، وما هذه الحال التي وصلنا إليها إلا بسبب أولئك الذين لا يعرفون من القرآن سوى رسمه ، ومن الإسلام سوى اسمه، ويزعمون حب الله ورسوله، فيقول قائلهم : إن الله حبيبي، ولن يعذبني بعمل أو بدون عمل، ومثل من يقول ذلك كمثل اليهود والنصارى الذين قال فيهم الله عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [1]. ويقول تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [2]... ولله درُّ القائل :

هذا لعمري في القياس بديـــع * * إن المحب لمن يُحب مطيـــع

تعصي الإله وأنت تزعم حبه * * لو كان حبك صادقاً لأطعتـــه

إن انتسابك إلى الإسلام : يتطلب منكِ أن تقومي بواجبات هذا الدين وتؤدي فرائضه وتُقيمي أركانه، ويتحقق انتسابك إليه بالقيام بأهم ما يأمرك به والذي هو العلامة الفارقة للمسلمة، ألا وهو الصلاة المكتوبة . أليس المطلوب منك أن تهتدي بهدي نبيك ﷺ، وتسيري على نوره وتُطيعي أوامره أمراً أمراً ، إذ أمرك الله بطاعته، ووصاك باقتفاء آثار نبيه ﷺ ؟ فإذا عصيت أمر ربك، وخالفت

(١) المائدة : آية ١٨.

(٢) آل عمران : آيات ٣١ - ٣٢.

تعاليم نبيك، وجعلت القرآن وراء ظهرك، ونقضت عرى الإسلام عروةً عروةً ... فهل تستحقين أن تُسمين **مسلمة** ؟ وهل ينفعك انتسابك المجرد شيئاً ؟؟؟

* * *

الفصل الثالث عشر:

يدعي دعاة السفور والانحلال: « إن كثرة الاختلاط والنظر إلى المفاتن والمحاسن تصبح مع الأيام شيئاً عادياً في نظر الشباب لا يثير غرائزهم ولا تلفت نظرهم، أما إذا ضرب بينهما بسور من الاحتجاب- فإن نوازع الجنس تلتهب بينهما وتغري كل منهما بصاحبه فيشيع من ذلك الكبت في النفوس والسوء في الطباع ».

❖ **وهنا : نقول لأمثال هؤلاء :**

المبحث الأول

إن الإسلام حينما حرم الزنا حرم كل السبل المؤدية إليه؛ والسفور والاختلاط من الوسائل المؤدية إلى الزنا، حيث إن عرض مفاتن المرأة واختلاط الجنسين سيؤجج الغريزة الجنسية في نفس الذكر والأنثى... ولذا فقد حذر سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات مما يثير شهواتهم وشهواتهن، فلم يُحذر من الزنا فحسب بل مما يدعو إلى الزنا، فقال : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾[1].

وهنا يُريد الله بذلك أن اجتناب عمل الفاحشة ليس هو كل ما يجب على المؤمن والمؤمنة بل ينبغي أن يبتعد عما يقوده إلى الزنا من مغريات، وألا يقرب مما يُحيط به أو يدني منه من متعة العين ولذة البصر أو الأذن أو أي حاسة من الحواس الأخرى.

ولذا فقد نهى الإسلام عن النظر إلى النساء : فالنظر إلى النساء يُعتبر أحد الأسباب التي تهيج الشهوة الجنسية، فكم من نظرة جرت إلى الخراب والشقاء وفرقت الأزواج، حيث إن البلاء كله نظرة.

يقول **ابن القيم** في الداء والدواء : النظر أصل **عامة الحوادث** التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة حازمة، فيقع الفعل ولا بد، ما لم يمنع منه مانع وفي هذا قيل :

---

(١) الإسراء : آية ٣٢.

كل الحوادث مبدأها من النظر ** ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ** فتك السهام بلا قوس ولا وتر

والعبد ما دام ذا عين يُقلبها ** في أعين الغيد موقوف على خطر

يسر ناظره ما ضر خاطره ** لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

والنظر إلى المحرمات يورث القلب حسرةً، لأنه يتطاول إلى ما لا يُدركه ولا صبر عنه . ويقول **ابن القيم** أيضاً من قصيدة ذكرها في **بدائع الفوائد** :

يا رامياً بسهام اللحظ مُجتهداً * أنت القتيل بما ترمي فلا تصب

وباعث الطرف ترداد الشفاء له * توقه أنت يرتد بالعطب

ترجو الشفاء بأحداق بها مرض * فهل سمعت ببرء جاء من عطب

وبائعاً طيب عيش ماله خطر * بطيف عيش من الأيام منتهب

غبنت والله غبناً فاحشاً فلو * تراجعت ذا العقد لم تغبن ولم تخب

شاب الصبا والتصابي لم يشب سفهاً * وضاع وقتك بين اللهو واللعب

وشمس عمرك قد حان الغروب لها * والفيء في الأفق الشرقي لم يغب

ولغة العيون معترف بها من قديم الزمان، وللعرب في ذلك باع طويل في مأثوراتهم الشعرية والنثرية، يقول الشاعر **محمود الوراقي العباسي** :

إن العيون على القلوب شواهد ** فبغيضها لك بين وحبيبها

وإذا تلاحظت العيون تفاوضت ** وتحدثت عما تجن قلوبها

ينطقن بالأفواه صامتة فما ** يخفى عليك بريئها ومريبها

وهنا لم يكن من الحكمة أن يؤمر الإنسان بغض بصره غضاً تاماً، بحيث لا يرى الجنس الآخر، لأن الإنسان لا يستغني عن استعمال حاسة البصر في كسب عيشه وتحصيل كماله الأدبي ليحقق الخلافة في الأرض، فالإنسان معرض طوعاً أوكرهاً لرؤية عورة الجنس الآخر، ولهذا جاء الإرشاد الإلهي الكريم بغض البصر بصيغة تشعر بأن المراد هو التقليل منه بقدر الإمكان، وعدم التمادي فيه، يقول تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾[2].

يقول **ابن القيم** في كتابه « **روضة المحبين ونزهة المشتاقين** » في الأمرين السابقين: « لما كان غض البصر أصلاً لحفظ الفرج بدأ بذكره، ولما كان تحريمه تحريم الوسائل فيباح للمصلحة الراجحة، ويحرم إذا خيف منه الفساد، ولم يعارض مصلحة أرجح من تلك المفسدة – لم يأمر سبحانه بغضه مُطلقاً، بل أمر بالغض منه، وأما حفظ الفرج فواجب بكل حال، لا يُباح إلا بحقه، فلذلك عم الأمر بحفظه، وقد جعل الله العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب

---

(١) النور: آية ٣٠.

(٢) النور: آية ٣١.

شهوته..»[1]... من أجل هذا تجاوز الدين عن نظر الفجاءة، وهو الذي يقع من غير قصد ولا يكون معه استرسال، فعن جرير بن عبد الله ﷺ قال : ﴿ سألت رسول الله ﷺ عن **نظرة الفجاءة فقال:** ﴿ **اصْرِفْ بَصَرَكَ** ﴾[2]... وعن بريدة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ لعلي: ﴿ يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست الآخرة ﴾ [3].

ومما جاء في النهي عن النظر بغير حاجة : عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿ كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَى مُدْرِكٌ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلاَمُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ ﴾ [4]، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِى الطُّرُقَاتِ ﴾ . قَالُوا يَا رَسُولَ الله مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا . قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ ﴿ فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ ﴾ . قَالُوا وَمَا حَقُّهُ قَالَ ﴿ غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلاَمِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [5].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :﴿ النظرة سهم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد

(١) غذاء الألباب - ابن القيم -١/ ٨٢.

(٢) رواه مسلم في الاستئذان، وأحمد وأبو داود والترمذي.

(٣) رواه وأبو داود (٢١٤٩) ، والترمذي (٢٧٧٧).

(٤) رواه مسلم: كتاب القدر باب (٥) حديث (٦٩٢٥).

(٥) رواه البخاري(٢٤٦٥)، ومسلم (٥٦٨٥).

حلاوته في قلبه﴾ [١]، وعن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه ﴾ [٢].

وهنا ينبغي على كل مؤمن أن يلجم عينيه بلجام الحياء والعفاف حتى ينجو من الزلل، فالشهوة لا تصحو إلا إذا أيقظها ولا تنتبه إلا إذا دعاها، والمرأة المتبرجة شرارة للزنى، فهي مجرمة يغوي بجمالها العباد ونكبة تنتشر من حولها الفساد، فإذا التزمت المرأة، واجتنبت التبرج والخلاعة في كلامها ومشيتها، لما انتشر هذا الفساد والشر المستطير، إذ من المحال أن تصان الأعراض وكرامة الأسر إلا بالاحتشام والغض من البصر.

* * *

(١) رواه الطبراني والحاكم.

(٢) رواه أحمد والطبراني.

المبحث الثاني

صحيح أن مظاهر الإغراء قد تفقد بعض تأثيرها بسبب طول الاعتياد وكثرة الشيوع، ولكنها إنما تفقد ذلك عند أولئك الذين خاضوا غمارها وجنوا ثمارها، خلال مرحلة طويلة من الزمن، فعادوا بعد ذلك وهم لا يحفلون بها.

إن رؤية المناظر والمواقف الجنسية المثيرة في بلد كالسويد مثلاً، تُعتبر أمراً عادياً لا تثير استغراباً، ولا استهجاناً بالنسبة لأولئك الذين نشؤوا أو عاشوا في تلك الأجواء، فهل يعني ذلك أنهم قد تجاوزوا طبيعة التأثير بدواعي الانحراف وأسبابه، فهم لا ينحطون إليها ولا يتأثرون بها ؟ أي مجنون من الناس يقول هذا ؟ . كلنا يعلم أن هذا الذي يمر بالمشاهد الجنسية المكشوفة هُناك، غير عابئ بها، ولا ملتفت إليها، قد تجده بعد ساعة يمارس العملية نفسها في مكان آخر.

وهكذا فإن عدم الاكتراث والتأثير بمظاهر الإغراء، إنما هو نتيجة لانتشار اللذة رخيصة في كل مكان... وليس نتيجة فهم معين أو جديد لما قد تبصره عيناه، والذي يتصور تحقق الزهد في الجنس، دون أن يكون نتيجة لانتشاره وإباحته، إنما هو كمن يتصور إمكان زهد الجائع في الطعام بمجرد أن تتناثر أطباقه الشهية أمام عينيه في واجهات المحلات عن يمين الشارع ويساره..

والكبت ... أيهما يُورث الكبت ؟ أن يخرج الشاب إلى شأنه من وظيفة أو عمل أو دراسة، فلا تقع عينه على ما يثير شيئاً من

كوامن غريزته، فيعود إلى بيته هادئ النفس مُستريح البال، وبكل أسلوب وفن، بعكس أن تهتاج نفسه وتثور غرائزه، إذا وجد مُغريات الجنس، حتى إذا دنا ليمتع نفسه وتثور غريزته اصطدم بحواجز القانون ورقابة الشرطة، وشهامة الزوج أو القريب ؟

❋ ❋ ❋

الفصـل الرابع عشر:

يقول دعاة السفور والتحرر: « أريد أن أتمتع بشبابي، والحجاب يمنعني من ذلك، ومن ارتداء ما أريد أن ألبس من الثياب، ويمنعني أيضاً من الذهاب إلى أي مكان أريد أن أتمتع فيه بشبابي. كالذهاب إلى الشواطئ ودور السينما وغيرها. »..

❖ **وهنا نقول لهؤلاء وأمثالهم :**

المبحث الأول

إن الإسلام هو الخضوع والانقياد والاستسلام لأوامر الله : فما دمت مسلمة فإن ذلك يعني أنه يجب عليك اتباع أوامر من أسلمت وجهك إليه، والانتهاء عما نهى عنه، وإلا فراجعي حقيقة إسلامك ودينك.

إذن فتمتعك بشبابك لابد أن يكون وفق شرع الله تعالى، وليس وفق هواك وما ترغبين دون قيد أو شرط، وإلا فما الفرق بين المسلمة والكافرة ؟ وبين الطائعة والغافلة ؟ إن الأولى لها منهج إلهي تسير عليه، والثانية لها منهج شيطاني تسير عليه.

إن معنى التمتع بالشباب - **من وجهة نظرك** - هو فعل المنكرات من التبرج والاختلاط والذهاب إلى أماكن تغضب الله تعالى، تختلطين فيها بالرجال، وتتعرى فيها الأجساد، ولا يخفى علينا جميعاً أن كل هذا حرام، فكيف تتمتعين بشبابك وأنت تعصين الله تعالى. ؟ ، هل من الإيمان بالله تقديم معصيته على طاعته ؟

يا حسرتا على النساء ! عندما استبدلن الذي هو أدنى بالذي هو خير، عندما استبدلن التبرج بالحجاب، أين الخلاعة والانحلال والتعري من الحياء والاحتشام والوقار ؟؟؟.. **أي تمتع بشباب** تقصدينه وأنت عند خروجك إلى الطريق متبرجة تحملين وزر كل من ينظر إليك، فاحسبي إذن كل يوم عدد الأوزار التي تحملينها بسبب تبرجك عندما ينظر إليك المئات من الرجال بل الآلاف.

وفكري ايتها السيدة، كم مرة أتيت هذا الأمر الكبير ؟ وكم

أظهرت من عورة ؟ وكم هتكت من حرمة ؟ وكم أيقظت من فتنة؟.. اجمعي يا سيدتي هذه الآثام في كل خروجك ونزهاتك طوال حياتك، فستجدين وزراً ثقيلاً تنوئين تحته، ولا تستطيعين حمله يوم الحشر.).

أي تمتع بشباب هذا يا مسكينة : وهو بلا قيود أو ضوابط شرعية ؟ هل الذي يريد الزنى أو شرب المخدرات أو غير ذلك من المحرمات – إذا قال هو الآخر – مرخصاً لنفسه اقتراف هذه الآثام–: أريد أن أتمتع بشبابي سيكون على حق ؟؟ فهل نبيح له ذلك تحت مُسمى « **التمتع بالشباب** ».

إن كل امرأة خرجت من خدرها إلى الطرقات عروساً، قد أخذت زخرفها وازينت، لسان حالها يقول: ألا تنظرون إلى هذا الجمال ؟ هل من راغب في القرب والوصال ؟ إنها تعرض جمالها في أسواق الشوارع كما يعرض التاجر المتجول سلعةً، وكما يعرض بائع الحلوى ما عنده مزيناً بالألوان الزاهية والأوراق اللامعة، ليسترعي الأنظار ويغري النفوس ويثير الشهية، فتروج بضاعته، ويكثر المشترون، ويتهافت الطلاب . كيف تقبل المرأة الشريفة العفيفة عرض جمالها في السوق سلعة رخيصة تتداولها الأعين، وكيف يرضى حياؤها أن تكون مبعث إثارة شهوة في نفس رجل يراها ، بل وكيف يطيق الشعور بأنه يصبو إليها ويتمناها ؟.

إنها لو فكرت في ذلك الأمر برهة، لا حمرت خجلاً ولسترت جمالها وزينتها عن الأعين الشرهة الوقحة.

المبحث الثاني

وإلى الخائفة من الحجاب أقول لها : إن الحجاب لا يمنعك أبداً من التمتع بشبابك، ولا من التمتع بما أحل الله تعالى لك من الطيبات، ولكن وفق منهج وضعه الخالق الحكيم. وليس معنى ذلك أنك عندما تتحجبين، أن تعيشي منطوية على نفسك منعزلة عن الناس، كلا، بل الإسلام يُريدك مرحة في نفسك تألفين وتؤلفين، نشيطة في غير ابتذال متواضعة في غير ذلك، عزيزة في غير فخر، كثيرة الحياء، قليلة الأذى، صدوقة اللسان، قليلة الكلام، كثيرة العمل، قليلة الزلل، برة وصولة، شكورة صبورة، راضية حليمة، رقيقة عفيفة، لا لعانة ولا سبابة، ولا نمامة ولا مغتابة، ولا عجولة ولا حقودة، ولا بخيلة ولا حسودة، بشاشة هشاشة، مُيسرة غير معسرة، من رآك احترمك، ومن صاحبك أحبك، دائمة البشر، واسعة الأمل.

أيتها المسلمة : لا تنسي أنه ما من شاب يبتلى منك اليوم بفتن تغريه، أو تشغلي باله - وكان بوسعك أن تجعليه في مأمن منها - إلا أعقبك منها غداً نكال من الله عظيم :

إنما الدنيا متاع ** كل ما فيها غرور

فتذكر هول يوم ** فيه السماء تمور

* * *

الفصـــل الخامس عشر:

« بعض الأمهات يمنعن بناتهن من الحجاب، بدعوى أنه يقـلل فـرص الفتيـات مـن الزواج..»..

فنجد : بعض الأمهات يجعلن بناتهن يرتدين ملابس تكشف عن مفاتنهن، ويسمحن لهن بالذهاب إلى الكوافير لتصفيف شعرهن على أحدث خطوط الموضة ، ويُبحن لهن وضع المساحيق والعطور، والتزين بزينة لافتة للنظر، رغبةً منهن في زواج بناتهن، اعتقاداً منهن أن الشباب يُقبل على الفتاة التي تهتم بمظهرها وأناقتها.

❖ **وهنا نقول لهؤلاء الأمهات :**

المبحث الأول

إن الأمهات اللاتي يفعلن ذلك أمهات آثمات، لأنهن يمنعن بناتهن من الاستجابة لأمر ربهن بالالتزام بالحشمة والوقار وستر الجسد بالزي الشرعي. حيث قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾[1].. ويقول عز وجل : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾[2].

فتوجيه الخطاب إلى نساء النبي وبناته ونساء المؤمنين، دليل على أن جميع النساء مُطالبات بتنفيذ هذا الأمر دون استثناء واحدة منهن مهما بلغت من الطهر، ولو كانت في طهارة بنات النبي ﷺ وطهارة نسائه.

والإسلام يهتم بهذه القضية : فيحدد السن التي تبدأ بها المرأة في الاحتشام. فعن عائشة رضي الله عنها: ﴿ إن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما

---

(١) الأحزاب : آية ٥٩.

(٢) النور: آية ٣١.

دخلت على رسول الله ﷺ : وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ **وقال لها** : ﴿ يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه ﴾ (١).

ويقول رسول الله ﷺ: ﴿ صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ ، لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا ﴾ (٢).

وفي عهد النبوة كان رسول الله ﷺ يرى بعض مظاهر التبرج، فيلفت نظر النساء إلى أن هذا فسق عن أمر الله، يردهن إلى الجادة المستقيمة، ويحمل الأولياء والأزواج تبعة هذا الانحراف، وينذرهم بعذاب الله. فعن موسى بن يسار ﷺ قال : ﴿ مرت بأبي هريرة امرأة وريحها تعصف، فقال لها : أين تريدين يا أمة الجبار ؟ قالت إلى المسجد، قال : وتطيبت، قالت : نعم، قال: فارجعي واغتسلي. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ **لا يقبل الله صلاة من امرأة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل** ﴾ ، وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء ﴾ (٣) أي الآخرة.

وروي عن عائشة ﷺ قالت : ﴿ بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد، دخلت امرأة من مزينة ترفل في زينة لها في المسجد، فقال

(١) رواه أبو داود حديث رقم (٤١٠٤) كتاب اللباس.
(٢) رواه مسلم : كتاب اللباس -حديث رقم (٥٧٠٤).
(٣) سبق تخريجه.

النبي ﷺ يا أيها الناس: ﴿ انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد، فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا في المسجد ﴾ [١].

المبحث الثاني

يجب أن تعلم هؤلاء الأمهات الداعيات لبناتهن بالسفور والتبرج أن الشاب إذا أراد أن يعبث، وأن يُضيع وقته، وأن يحصل على نزوة، فإنما يبحث عن الفتاة السافرة المتبرجة.. أما إذا أراد أن يُقيم بيتاً، وأن يؤسس أسرة صالحة، فإنما يبحث عن فتاة تعرف واجبها نحو الله عز وجل، وتصونه وتحفظه -إذا غاب- في عرضه وماله وأولاده. فهذا يحقق له الأمن في حياته الأسرية والاطمئنان على عرضه وشرفه، والرسول ﷺ حث الشباب على الزواج من الفتاة المتدينة الصالحة.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ﴾**[٢]، وعن أبي أمامة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: ﴿ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله﴾ [٣].

(١) رواه ابن ماجة (٤٠٠١).

(٢) رواه مسلم: كتاب الرضاع باب (١٧) -حديث (٣٧١٦).

(٣) رواه ابن ماجة.

فالمرأة الصالحة ذات الدين تخاف الله، فلا تفرط في شرف زوجها، وترعى ماله بأمانة، وتُربي أولادها على الفضيلة وحُسن الخلق، وتقف إلى جانبهم وتوجههم وترشدهم في ذكاء ومعرفة وسمو، وتخلص ما تقوم به من أعمال.

يقول رسول الله ﷺ : ﴿ تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَع : **لمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا**، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ ﴾[1]، وصدق رسول الله ﷺ القائل: ﴿لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يُرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن يطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء ذات دين أفضل ﴾[2]فعلى هؤلاء الأمهات أن يراعين الله في تصرفاتهن، وأن يكن خير عون لبناتهن على طاعة الله سبحانه وتعالى.

المبحث الثالث

إن الذي يطلب الزواج من ابنتك لجمالها وتبرجها ودلالها، ولا يستنكر تجردها من الحياء والاحتشام، وخروجها على آداب الإسلام، فهو رجل فاسق شهواني، يبحث عن جسم جميل خليع ليتمتع، ولا يعبأ ولا يبحث عن قلب سليم تقي ليسعد، فلن يكون هذا الرجل زوجاً صالحاً كريماً... بينما الرجل الذي يطلب الزواج من ابنتك لتقواها واحتشامها، ويعجبه حياؤها وتدينها، فهو الرجل المسلم المستقيم، وهو الزوج الصالح الكريم، ولا سعادة حقة بلا تقوى ولا دين.. فتقوى الله أساس الاستقامة، والاستقامة أساس السعادة، ومن يخشى الله فإنه يخشى غيره فزوجوا ابنتكم من

(١) رواه البخاري(٥٠٩٠) ، ومسلم (٣٧٠٨) – عن أبي هريرة.
(٢) رواه ابن ماجة حديث رقم (١٨٥٩)- عن عبد الله بن عمرو.

التقي، فإن أحبها أكرمها وإن كرهها لم يظلمها. ولا تزوجوها من حيوان شهواني إذا فرغت منها حاجته وأكلها لحماً طرحها و نبذها عظماً، بدون حياء ولا خوف من الله، لأنه إنما كان ينشد المتعة البهيمية، ولا يعرف معنى السعادة الإنسانية... وصدق رسول الله ﷺ القائل: ﴿ **إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة وفساد كبير** ﴾[1].

وحينما استشار رجل سيدنا الحسن بن علي قائلاً له: إن لي بنتاً فمن ترى أن أزوجها له؟ قال له: « زوجها من ذي الدين، فإن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها ».

ففي هذا الزواج من شأنه أن يديم الصلة ويوثق العروة ويريح النفس، ويكون ولي أمر الفتاة قد وصل رحمها حيث وضعها هذا الوضع الكريم، مصداقاً لقول الشعبي: « **من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها** ».

المبحث الرابع

كم من جميلة أغواها الشيطان بالانغماس في التبرج والتزين، والإفراط في الخروج والتجول، فذهب شبابها وخسرت مستقبلها في الدارين، ورغب الرجال عنها، ونفروا منها مستنكرين، ولم يتزوجها أحد ممن كان يحوم متعلقاً، وكان ينظر إلى هذا الجمال العاري معجباً مُحملقاً، بل كان يتزلف إليها ويجزل لها الهدايا حتى ظنته عاشقاً، وهي ربما لم تفرط في عرضها، ولكنها عملت بما يوجب الشك وكانت مستهترة، فخسرت بجهلها وطيشها الدنيا والآخرة.

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجة (١٩٦٧) - عن أبي هريرة.

فالويل لك أيتها المتبرجة من شيطان الجمال، وبئس الجمال جمال دعاك إلى الخلاعة والاختيال، ورماك في بؤرة الفسق والضلال، فجرت خلفك الذئاب والثعالب، وهرب منك الرجال. بئس الجمال جمال أحاطك بالاحتقار، ووصمك بما يهوي بك إلى حضيض الذل والعار.

المبحث الخامس

أين حبك أيتها الأم وحنانك لابنتك؟ هل حبك لها يكمن في أن تعرضيها للمهانة وغضب الله في الدنيا والآخرة؟... إن صلاح الأبناء يعود على الآباء بعد موتهم بالخير، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(1)... فالأحرى بك أيتها الأم أن تجعلي ابنتك إنسانة صالحة تقر عينك بصلاحها في الدنيا، وتكون مصدراً للحسنات بعد انقطاع عملك بانتهاء أجلك.

* * *

(1) رواه مسلم: كتاب الوصية باب (3) حديث (4310).

الفصل السادس عشر:

بعض الأمهات يمنعن بناتهن صغيرات السن من الحجاب بدعوى «أنهن لا يزلن في ريعان الشباب وزهرة الصبا، ولم يحن بعد وقت الاحتشام...!»..

❖ نقول لأمثال هؤلاء :

المبحث الأول

كأن الحجاب جعل لستر الشيب والشيخوخة، لا لستر الجمال والزينة، مع أن الله يأمر بعكس ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] ... أي إذا وصلت المرأة إلى سن الشيخوخة بحيث قعدت عن الزوجية، فلا بأس عليها أن تكشف رأسها غير متبرجة بزينة، لأنها لا تجلب القلوب ولا تفتن العيون بشعرها الأشيب ووجهها المجعد، فلا ضرر من ظهورها كذلك.

ولكن كلما كانت المرأة صغيرة وجميلة ، كانت أدعى إلى الفتنة... فيجب عليها ستر هذا الجمال والشباب عن أعين المؤمنين الورعين، الذين يتألمون من سرقة أبصارهم لجمال ليس لهم حلالاً ، ويخشون الله ويعلمون أنه لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

المبحث الثاني

إن ثواب تربية البنات عظيم في الإسلام :

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ إذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاثَةِ إلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ﴾[2]، وروى الإمام أحمد في مسنده، عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ لا يكون لأحد ثلاث

(١) النور : آية ٦٠.

(٢) رواه مسلم: كتاب الوصية باب (٣) حديث (٤٣١٠).

بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فيتقي الله فيهن ويُحسن إليهن إلا دخل الجنة ﴾. ومن دخل الجنة فقد فاز فوزاً عظيماً.

وهنا : ثواب تربية الأولاد لا يحصل لمجرد الإنجاب، لأن الإنجاب غريزة في الإنسان والحيوان، بل يحصل الثواب العظيم عندما يربى الأولاد والبنات على الإسلام، فيكون كل منهم عبداً لله عز وجل وخليفةً في الأرض يعمرها، بعبادة ربه وحده لا شريك له. يجب أن نعود بناتنا على التدريب المبكر على العبادات وعلى ارتداء الحجاب : منذ **السابعة من العمر** لأن مرحلة الطفولة المتأخرة ستبدأ في السابعة وتنتهي عند البلوغ « ويسميها بعض علماء النفس (**الطفولة الهادئة**). وفيها تتشكل القيم لدى الإنسان وتتكون لديه الاتجاهات ».

يقول رسول الله ﷺ : ﴿ مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع ﴾ ، فإنه ﷺ أمر بذلك في سن السابعة حتى يتعود الأولاد على القيم الإسلامية الصحيحة، فينشؤوا وقد تعودوا عليها ويستهلونها.

فالبنت التي تتجاوز مرحلة الحضانة في حاجة شديدة إلى تعلم مبادئ الدين عملياً، والحجاب من أهم المظاهر الأخلاقية للبنت في هذه السن لأنها إن تعودت عليه، صار بالنسبة لها عملاً طبيعياً. فنجد بعض الصحابيات ﵅ كن يُدربن أولادهن على الصوم في الصغر، تقول إحدى الصحابيات : « كنا في رمضان نصوم أولادنا الصغار ونعطيهم العرائس « اللعب » من العهن «القطن » حتى ينشغلوا عن الطعام والشراب وما نفعل ذلك إلا لكي نعودهم الصيام من الصغر ».

وفي وصية لقمان لابنه : يتضح مدى غرس المبادئ الإسلامية والأخلاقيات الحميدة فيه، وذلك في قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى أن قال : ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ .

وهُنا : مما يؤسف له أن مؤسساتنا التربوية كالبيت والمدرسة لا تستثمر هذه الفترة من حياة الطفل استثماراً جيداً بل تضيع هذه الفترة الذهبية من العمر بدعوى أنه ما زال طفلاً حتى إذا دخلت مرحلة المراهقة وحلت العواصف مكان الهدوء، يفوت الأوان وتضيع هذه الفترة الثمينة... فالأطفال « الأولاد والبنات » في مرحلة الطفولة الهادئة (٧ – ١١ سنة) يتقبلون من آبائهم وأمهاتهم، أما عند الدخول مرحلة البلوغ والمراهقة فإنهم يبحثون عن مَثَلٍ أعلى من خارج البيت ويجدونه في مجموعة الرفاق في المدرسة.

❖ وسائل غرس فضيلة الحجاب للبنات وهن صغار :

يجب أن تُعلم الأم بنتها أنها مطالبة بالالتزام الشرعي، وأن تُعلم الأم بنتها التخلق بخلق الالتزام وأنها موضع نظر لله عز وجل، وأن هناك رقابة علوية عليها إذا خرجت بغير هذا الحجاب.

وعموماً : ننصح كل أب وأم باتباع التالي لغرس فضيلة الحجاب للبنات وهن صغار :

١- يلقن الأطفال منذ الرابعة والخامسة حب الله عز وجل وطاعته طمعاً في ثواب الله وجنته، ويلقنون كذلك محبة رسول الله ﷺ وطاعته طمعاً في ثواب الله وجنته – وللقصص أثر ممتاز في غرس

هذه القيم لدى هؤلاء الأطفال.

٢- يُعود الأبوان الأطفال على ستر العورة منذ الرابعة من العمر وتلقن الطفلة أن عورتها جميع جسدها، فلا يسمح لها بإظهار ساقيها في البيت وعند النوم.

٣- تُؤمر الطفلة منذ الخامسة من عمرها على تغطية شعرها كلما خرجت من البيت كي تعتاد على ذلك.

٤- تُرغب البنت في الحجاب منذ السادسة، ثم تُؤمر بالحجاب الكامل في السابعة. **وكما يقول الفقهاء** : « تحجب البنت عندما تشتهى حسب طولها وصحتها وحسب البيئة التي تعيش فيها، وعندما تشتهى تؤمر بالحجاب ولو لم تحض ».

لأن الفتاة التي بلغت الثانية عشرة من عمرها ولو لم تحض وكانت طويلة القامة وجميلة، لا تقل فتنةً عن نفسها بعد نصف سنة عندما تبلغ المحيض، لذا ليس من المعقول أن تسفر فتاة في الثانية عشرة لأنها لم تبلغ المحيض، بل إن سفورها في هذه الحالة يخالف مقاصد الشريعة، وهذه الفتاة السافرة المشتهاة يأثم والداها بسببها. والله أعلم.

٥- تُعود الطفلة منذ السابعة كذلك على عدم الاختلاط بالذكور من غير محارمها، وأفضل وسيلة لذلك كله القدوة الحسنة من أمها وأخواتها الكبيرات إن وجدت. وتمنع من الاختلاط مع أقاربها الذكور، كأبناء الخالة وأبناء العم وغيرهم.

٦- تلقن البنات منذ السابعة من عمرهن آيات الحجاب الموجودة في القرآن الكريم، ويطلب منها حفظها، وكذلك الأحاديث الشريفة

الواردة في الحجاب، ويبين لها كلما كبرت مضار التبرج والاختلاط، وكذلك تلك المضار التي تعود على الفتاة في الدنيا والآخرة.

وأخيراً : فإن التربية عملية صعبة وشاقة، ومن مشاقها أنها تتطلب الثبات والاستمرار والمتابعة والمراقبة، حتى يستنفد الآباء أعمارهم في تربية أولادهم، وأن تربية الفتاة المسلمة تكون أماً مسلمة، فيكون البيت المسلم والأسرة المسلمة فالمجتمع المسلم.. أي إن تربية الفتاة المسلمة خطوة أساسية من أجل بناء المجتمع المسلم.

وهنا يجب على الأم أن تكون قدوة لابنتها، فلا يصح أن تنصحها بالحجاب وهي لا ترتديه.. كما يجب على الأم ألا تجحد أنوثة ابنتها، فالإسلام لا يريد نساء أشباه رجال. لكن يُريد أنثى تلبس ما تريد ولكن في بيتها، أي يجب أن تعلم ابنتها أنها ستجد المكان المناسب الذي تُمارس فيه رغباتها، لكن الخروج له التزامه الشرعي الذي يلزمه الحجاب، بل هو أول مظاهره كما نُوصي الأم أن تأخذ الأمور بمعالجة صحية وبطريقة لينة لا تصل إلى مرحلة التعقيد، وإلا ستكون النتيجة عكسية.

* * *

الفصل السابع عشر:

يقول دعاة التحرر والسفور: « إن المرأة ما دامت جادة في معاملتها ومؤدبة لا تؤذي أحداً، فإن الزي الشرعي ليس ضرورياً.. ».

❖ **وهنا نقول لأمثال هؤلاء :**

• المبحث الأول •

إن هذا القول متناقض مع نفسه: فإن الجدية في العمل تلزمها الحشمة والانصراف عن الزخرف إلى الجوهر.

وكما يجب عليها أن تكون مؤدبة في كلامها وفي عملها، يجب عليها أن تكون مؤدبة في زيها. فكل ذلك مأمور به من الله، وهذا التكامل في اتباع الأوامر قولاً وعملاً وسلوكاً وزياً يُشير إليه قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٣﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾[١].. فلا يجوز أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، وتنفيذ بعض هذه الأوامر لا يعفي من المسؤولية عن التقصير في بعضها الآخر، فالإسلام قرر أن المرأة فتنة ، وحذر من الوقوع فيها، فقد ذكر القرآن الكريم أن المرأة من أولي المتع التي تنصرف إليها رغبات الرجال. قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[٢].. وعن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ :﴿ مَا تَرَكْتُ بَعْدِى فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾[٣].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : رسول الله ﷺ :﴿ إِنَّ الدُّنْيَا

(١) الأحزاب آيات ٣٢ – ٣٣.

(٢) آل عمران : آية ١٤.

(٣) رواه البخاري (٥٠٩٦) مسلم (٧١٢١).

حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّه مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَة بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ﴾ . وَفِى حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ ﴿ لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [1].

وعن جابر ﷺ قال: رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ ﴾ [2].

فالنبي ﷺ في هذا الحديث يعالج الغريزة، ويحول نشاطها من دائرة الحرام إلى دائرة الحلال. وسلطان الغريزة غالب لا بد له من منفذ، وكبتها قد يؤدي إلى ضرر كبير. وما حرم الله شيئاً إلا جعل له بديلاً من الحلال، والرجل في رجولته لا يسلم أبداً من سلطان الشهوة وشدة ضغطها عليه، فليكن نشاطها في مجال الحلال والخير والمنفعة... **وصدق القائل** :

إن النساء رياحين خُلقن لنا ** وكُلنا يشتهي شم الرياحين

والمشاهد بالتجربة : أن الجنس إذا كان بعيداً عن جنسه قل تفكيره فيه وميله إليه، وإن لم ينعدم ذلك، لأصالة الغريزة الجنسية في عالمي الإنسان والحيوان.

فإذا قرب الجنس من الجنس، أو اتصل به بأية وسيلة تحركت الغريزة بانفعالها القوي، وتحركت معها الإرادة إلى تحقيق ما تُريد.. فالجنسان أشبه بقطبي المغناطيس السالب والموجب، كلما قرب أحدهما من مجال الآخر تحركت المشاعر كما تتحرك برادة الحديد بالمغناطيس... **من هنا**: فقد وضع الله لتنظيم النشاط

---

(١) رواه مسلم: كتاب الرقاق باب (٢٦) حديث (٧١٢٤).

(٢) رواه مسلم: كتاب النكاح باب (٢) حديث (٣٤٧٣).

لهذه الغريزة، وضبط الجاذبية الجنسية، شأنه في ذلك شأنه في الغرائز الأخرى، آداباً توجهها وجهة الخير، وتمنعها أن تتعدى الحدود، وتنتهك الحرمات، ومن هذه الآداب (**حجاب المرأة**) الذي تحد به حدة الجاذبية، وتستقر إلى حين.

المبحث الثاني

إن الزي الشرعي ضروري لكل امرأة : فمن الحكم الكبرى من تشريعه :[1]

أولاً : تمييز المسلمة من الكافرة، والعفيفة من الفاجرة، فلا يتعرض لها السفهاء الذين يغريهم المبذول، وهو في نفس الوقت يدفع ذوي الغيرة والشهامة والمروءة إلى حماية المرأة المتحجبة والدفاع عنها، إكباراً لها وتقديراً للبيت الذي أنجبها أو انتسبت إليه... يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[2]. وفي هذه الآية تركيز على المرأة أو المساس بشرفها، فمن كانت متحجبةً عرف الناس أنها تأبى الفجور، والاستسلام للمتعرضين لها. ويُشير إليه قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾[3].

ثانياً: عدم إثارة الغريزة الجنسية وتهييجها بين الرجل والمرأة

---

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام – الجزء الثاني – للشيخ / عطية صقر – ص ١٨٤ – ١٨٥.

(٢) الأحزاب : آية ٥٩.

(٣) الأحزاب : آية ٣٢.

في الوقت الذي لا داعي فيه لإثارتها، وإبعاد الأفكار السيئة عن قلبيهما، فقد ينصرف قلب الرجل عن زوجته عند إعجابه بأخرى، كما قد ينصرف قلبها عن زوجها عند إعجابها بآخر، ومعروف أن المألوف مملول، والنفس طلعة إلى الجديد، حتى ولو كان في وضع أدنى من المألوف. يُشير إلى هذا قوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[1]، فالتركيز على الطرفين لا على طرف واحد.

ثالثاً: إبعاد الشبهة عن الشخصيات العفيفة، والحلول دون أن يُدنس الرجس الساحات الكريمة والبيوت الأصيلة، وتطهيرها من الشكوك والاتهامات. ذلك أن السفور الذي تعرض به المرأة مفاتنها على الأجانب دون مُبالاة على دخيلة نفسها وميل قلبها إلى غير زوجها، ولو إلى حد ما إن كانت متزوجة أو رغبتها الشديدة في الرجال إن لم تكن مُتزوجةً، وهذا رجس لا يرضاه الله للمرأة، ولا للبيت الذي تعيش فيه، كما أن السفور باعث على اتهامها وإثارة الشكوك حولها، والله يُحب للمرأة ولكل من يتصل بها أن يطهروا من هذه الشبهات.

المبحث الثالث

والحجاب أمارة على كرامة ولي أمر المرأة وغيرته ورجولته، وعلى طهارة البيت الذي يُحافظ على الآداب الإسلامية ، وتنبت فيه هذه النبتة الزكية المصونة، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

(١) الأحزاب : آية ٥٣.

(٢) الأحزاب : آية ٣٣.

الفصــل الثامــن عشــر:

تزعم بعض المتبرجات، «بأنها كبيرة السن، فلن ينظر إليها رجل، وتحاول ما استطاعت أن تصلح ما أخذه الدهر».

❖ وهنا نقول لهؤلاء :

• المبحث الأول •

مع أن الله سبحانه نهى القواعد عن التبرج بزينة، وذلك لحكمة عظيمة منه جل شأنه.

يقول تعالى :﴿ وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

القواعد : جمع قاعد، **والقاعد** : هي العجوز التي أقعدها السن، فيئست من المحيض والولد، ومن إقبال الرجال لشيخوختها، ولم تعد مثار الفتنة والإغراء، وبلغت مرحلة الكمال والحشمة والوقار، والإعراض عما يفتن به الشباب... **والثياب** التي لا حرج على المرأة القاعد في وضعها **(أي خلعها)** داخل بيتها : هي الثياب الظاهرة التي اعتادت أن ترتديها إذا خرجت من بيتها، وأن تدنيها على جسمها تحفظاً وتستراً.

وليس المراد من الآية الكريمة أنه لا حرج على هذه القواعد في خلع جميع ثيابها داخل البيت إذا لم تكن في خلوتها، وإنما أباح الله لها ما لم يُبحه للشابة من التخفيف، وعدم التزام التحفظ داخل البيت وبين أهله، وأن تتقلب فيما بينهم، وقد يكون فيهم المحرم وغير المحرم.

وقد أباح لها هذا التخفيف لأنها قد بلغت من الكبر ما حول عنها الأنظار، وصرف عنها المطامع، فليس ثمة ما يُبرر منعها مما لا يجلب شراً ولا يدعو إلى مفسدة، وفيما وصلت إليه ما يقيها ويقي الناس شرور أنفسهم.

---

(١) النور : آية ٦٠.

والله سبحانه لم يرفع عنها إلا حرج التخفيف من الثياب وحده، ولم يحل لها إبداء ما لا يحل النظر إليه من الحرائر، فهي في هذه كالشابة، وقد رخص لها بعض العلماء كشف شعرها.

والخلاصة أن الله أحل لمن أسنت أن تخفف داخل بيتها من ثيابها متى أرادت ، ولكن على شريطة التزام ما يليق بالرجال.. وقد نبهنا سبحانه في أدب رفيع إلى ما ينبغي أن تكون عليه، وعلمها أن التعفف عن التبرج بالزينة خير لها، فلن تنال من هذا التبرج إلا الهزء والسخرية من الآخرين وإثم معصيتها لرب العالمين.

المبحث الثاني

من الحكمة من نهي القواعد عن التبرج بزينة أن هُناك المرأة التي تحتفظ ببعض جمالها وبعض نضارتها ورشاقتها حتى تتجاوز الخمسين ، بل حتى تتجاوز الستين من عمرها، فإذا هي تجملت ورممت عيوب وجهها وبدنها وصبغت شعرها وحاولت أن تبدو رشيقة أنيقة، ظنها من رآها أنها أصغر من حقيقة سنها بكثير.

.. **وهكذا** لم تعتبر القواعد اللاتي لا يسترعين الأنظار بشعرهن الأشيب ووجوههن المجعدة.. بل أصبحت مُتعة لبعض العيون، وفتنة لبعض أترابها من الرجال، هذا ما يبغضه الله وينهى عنه (.. **غير متبرجات بزينة**).

* * *

الفصـــل التاسع عشـــر:

تزعم بعض المتبرجات: " أنهـا تتبـــرج وتتجمل طاعة لزوجها وحرصاً على إرضائه، وحرصاً من انصرافه عنها إلى غيرها ".

❖ وهنا نقول لأمثال هؤلاء المتبرجات :

المبحث الأول

إن ما تظنين أن هذا السفور ينفع عند الله بعد ما أبطل عذرك، قوله ﷺ :﴿ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق﴾. و ﴿ لا طاعة إلا في المعروف ﴾.

يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[1] فهل هذا معناه أن طاعة أولي الأمر تجب قبل طاعة الله ورسوله ؟

كيف تُغضبين ربك الخالق لتُرضي زوجك الفاسق... فأيهما أولى بالطاعة والخشية ؟ أهذا الزوج الفاسق الذي يأمرك بالفسق، والذي لا يستحي ولا يغار، سيُنجيك وينجي نفسه من عذاب النار؟؟

المبحث الثاني

تُبررين فُسوقك بزعم أنك تخافين أن يهجرك إلى غيرك أو يُطلقك، فتُحرمي أولادك وسعادتك، فهل هذه السعادة البيتية الوقتية أهم وأعظم من سعادة الجنة الأزلية، فما هي هذه السعادة الموهومة المهددة. ؟.. بل لو كنت مؤمنة عاقلة لعلمت أنه من المحال أن تكون هناك سعادة مع زوج فاسق فقد صفات الرجولة وغفل عن أمر ربه، بل جاهر بالخروج على الدين والأخلاق.

نعم لو كُنتِ صادقة الإيمان لما شعرت مع هذا الزوج بسعادة تخافين ضياعها، بل لشعرت بشقوة تتمنين الخلاص منها ولا تُطيقين احتمالها، لأنه من المحال أن تنسجم الروح الطاهرة مع

(١) النساء : آية ٥٩.

الروح الفاجرة، وأن يُحب المؤمن الفاسق المنافق ويوده ويسعد بمعاشرته، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [1].

المبحث الثالث

ونقول للرجال الذين يسمحون أو يُجبرون زوجاتهم لإبداء زينتهن وعدم التحجب وإلى الاختلاط بالرجال:

١) - إن الله قد وضع لكم القانون الذي يحمي زوجاتكم وبناتكم، فإذا كنتم تدفعون نساءكم للتبرج، فأنتم قد وضعتم - باستباحتكم النظر إلى زوجات وبنات غيركم - المبدأ لينظر المجتمع كله إلى زوجاتكم وبناتكم. إن الله قد حماكم من هذا، ولكنكم إستبحتموه فلا تلوموا إلا أنفسكم إذا انحرفت الزوجة أو الابنة... إن مثل هؤلاء الرجال يستحق لفظ (**الديوث**) - وهو الذي لا يُبالي بفساد أهله، بالإضافة إلى أنه مسؤول ومُحاسب أمام الله تعالى على سوء تربيته، وعدم عنايته بصلاح وإصلاح زوجته أو ابنته أو ذات محارمه المتبرجات، ومُشترك معهن في الوزر والعقاب، لأن الرضا بالمعصية معصية في حد ذاته... فعن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ثلاثة قد حرَّم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والديوث الذي يُقر الخبث في أهله﴾ [2].

---

(١) المجادلة: آية ٢٢.

(٢) أخرجه أحمد والبزار والحاكم: انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير حديث رقم (٣٠٥٢).

٢) - **وقال ﷺ** : ﴿ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - قَالَ : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ﴾ [١].

أين هذه الرعاية لأهلك أيها الرجل ؟ أين القوامة يا رجل ؟ أتحبها فتخشى عليها أن تغضب لو ألزمتها بأوامر الشرع ؟ كذبت والله لو صدق حبك لأمرتها بما فيه نجاتها من النار وغضب المنتقم الجبار، ولكنك وقعت في حبائل الفتنة، فجرفتك معها في تيارها. وصدق رسول الله ﷺ القائل ﴿ مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [٢].

وقوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ ﴾ . وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ ﴿ لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [٣].

٣) - **أين قوامة الرجل وغيرته ؟ :** فالغيرة « هي العاطفة التي تدفع الرجل لصيانة المرأة خاصةً، وصيانة نفسه وخاصته وسائر الناس عامةً من كل ذمّ وعيب، ومن كل عار وشنار، ومن كل قبيح وحرام »... وغيرة الرجل على المرأة خاصةً : هي حرصه الشديد على صيانة عرضها وشرفها وحفظ عفافها وطهرها، من

---

(١) متفق عليه: البخاري (٨٩٣) ومسلم (٤٨٢٨).
(٢) متفق عليه: البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٧١٢٢).
(٣) أخرجه مسلم: كتاب الرقاق حديث رقم (٧١٢٤).

أن تُصاب بخدش أو طعن، أو يُمس بخبيث أو دنس، أو يلحق بأذى أو ضُرٍّ. والغيرة بهذا المعنى أصل من أصول الدين، وصفة من صفات الرجل المسلم، وبقدر ما يزداد الرجل إيماناً بقدر ما تزداد غيرته، وبالعكس من لا غيرة له لا إيمان له. يقول رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللّٰه يَغَارُ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللّٰه أَنْ يأتي الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ ﴾ [1]، وقال ﷺ :﴿ من قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، من قُتل دون ماله فهو شهيد، من قُتل دون أهله فهو شهيد﴾[2]، وقال ﷺ : ﴿ عِفُّوا عن نساء الناس تعف نساؤكم ﴾[3]...

وجاء في الأنساب للحافظ السمعاني ما ملخصه : (قدمت امرأة إلى القاضي موسى بن إسحاق الأنصاري الخطمي قد ادعى وليها أن لها على زوجها خمسمائة درهم مهراً، فأنكر الزوج. قال القاضي لوليها : شهودك، قال : أحضرتهم. فاستدعى بعض الشهود. وقيل للمرأة : قومي، فقال الزوج : تفعل ماذا ؟ قال : ينظرون إلى امرأتك وهي مسفرة ليصح عندهم معرفتها، فقال الزوج : إني أُشهد القاضي أن لها عليَّ هذا المهر الذي تدَّعيه ولا تُسفر عن وجهها، فردَّت المرأة، وقد أخبرت بما كان من زوجها وقالت : إني أُشهد القاضي أني قد وهبت له هذا المهر ، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة... فقال القاضي وقد أُعجب بغيرتهما : يُكتب هذا في مكارم الأخلاق).

(١) أخرجه مسلم: كتاب التوبة باب (٥) حديث (٧١٧١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٧٢) والترمذي (١٤٢١).

(٣) رواه الحاكم: انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير حديث رقم (٣٧١٥).

إن الغيرة بهذا المعنى النبيل تدل بشكل واضح على عظم كرامة المرأة عند الرجل المسلم ، وعلى حرصه الشديد على صيانتها والحفاظ عليها، فهو يعتبر أي طعن في كرامتها طعناً في كرامته، ويُعد أي امتهان لعزتها امتهاناً لعزته، وأي دنس يُلوِّث طهارتها دنساً يُلوِّث طهارته، إنه يحرص على أن تكون امرأته على أكرم وأنبل وأطهر ما تكون على المرأة في حياتها كبشر أكرمها الله بالتقوى والإيمان، والفضل والإحسان والطهر والعفاف.

وهنا : ننبه أن الغيرة المحمودة هي التي **تكون في محلها المناسب** وألا يُساء استعمالها، وإلا انتقلت إلى شؤم وحيف وظلم. إذ ليس من الغيرة مثلاً أن يُساء الظن بالمرأة لمجرد الظن والتخمين، أو لمجرد التوجُّس والتوقع من غير وجود أدلة بينة، أو بوادر واضحة، أو إشارات ظاهرة تدفع إساءة بالظن أو تدفع للاتهام.

فقد ﴿ نهى النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً ﴾ – **يعني تخويفهم أو يطلب عثراتهم** [١]. وقال ﷺ : ﴿ إن من الغيرة غيرة يبغضها الله، وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة ﴾ [٢]، ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٣].

إن حياة الغيرة التي يحياها المجتمع المسلم، والتي يسمو بها فوق النجوم رفعةً ويرتقي بها إلى مصاف الملائكة فضلاً وطهراً، يُقابلها

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة حديث رقم (٥٠٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم (٢٦٥٩) والنسائي حديث رقم (٢٥٥٨).

(٣) الحجرات : آية ١٢.

في المجتمع الأوروبي شرقاً وغرباً حياة الدياثة والخباثة والقذارة والحقارة، والنجاسة والذلة والمهانة.

٤) - **أما آن لك أيها الزوج** : أن تتقي الله وتغير هذا المنكر ؟ إن الله أعطاك إدارة هذه المؤسسة والقوامة عليها، ثم إنه مما لا نزاع فيه أن أي مؤسسة أو شركة إنما ينتخب لإدارتها من لديه دراية وخبرة وقوة على الإدارة، وعلى الصبر وعلى العمل، وحنكة في سياسة طبيعة المجتمع، وبفسادها يفسد المجتمع، لأنها هي التي تُقدم للمجتمع أفراداً هم لبنات بناء المجتمع، والبناء إنما يكتسب صفاته من مواد البناء قوةً وضعفاً.. فغيرة الزوج على زوجته هي الصفة التي يمتاز بها كرام الرجال وأرباب الشهامة والشرف منهم، وكلما تمكنت هذه الصفة الجليلة من قلب رجل كان ذلك برهاناً على رُجولته وغيرته وحميته.

نحن لا نعلم صفة أحط للرجل من أن يكون ضعيف الغيرة على امرأته، قليل العناية بها، كما لا نعلم صفة يمتدح بها أرباب الشرف والحمية أعظم من هذه الصفة، صفة المحافظة على المرأة والغيرة عليها، وصدق **أحمد شوقي** القائل - ناصحاً المرأة بالابتعاد عن الانحراف -:

خدعوها بقولهم حسناء ** والغواني يغرهن الثناء

إن رأتني تميل عني كأن لم ** تك بيني وبينها أشياء

نظرة فابتسامة فسلام ** فكلام فموعد فلقاء

ففراق يكون فيه دواء ** أو فراق يكون منه الداء

ويقول الشاعر :

إن الرجال الناظرين إلىالنساء * * مثـل السبـاع تطـوف باللحمان

إن لم تصن تلك اللحوم أُسودها * * أكلـت بلا عـوض ولا أثمـان

* * *

الفصـل العشـريـن:

تدعي بعض النساء المتبرجات «أنها لا تستطيع مُخالفة غيرها، حتى لا تمتاز عن غيرها بالاحتشام الذي يستلفت إليها الأنظار ويحوطها بالتهكم ونظرات السخرية والاحتقار».

❖ **وهنا نقول لأمثال هؤلاء :**

المبحث الأول

يا للعجب: أتخجلين من استلفات الأنظار إلى تقواك وحيائك، ولا تخجلين من استلفات الأنظار إلى تبجحك واستهتارك ؟؟

أيهما أولى بالخجل : أن تظهري بالأدب والرزانة، أم أن تظهري بالوقاحة والرعونة، كيف لا تخجلين من أن تجهري بالتقوى والإيمان ؟

بل كيف لا تفخرين بامتيازك عن غيرك بالاحتشام وتشرفك بآداب وشرائع الإسلام ؟

يا للعجب : أتخجلين مما يشرف ويبجل، ولا تخجلين بل تفخرين بما يحقر ويسفل ؟؟.. أتفسقين مع من فسق لتكوني مثلهم فلا يسخرون منك ؟ أتشربين الخمر لئلا يسخر منك المدمنون ؟ أتظلمين لئلا يسخر منك الظالمون ؟ أتستبدلين الذي هو شر بالذي هو خير خوفاً من نظرة تهكم من الفسقة والعصاة، وتُقدمين رضاهم على رضا الله ؟؟

❋ ❋ ❋

المبحث الثاني

إن هؤلاء الناس نسوا أوامر الله وآدابه من زمن مديد. .. فذكريهم وعرفيهم يا سيدتي ما لم يعرفوه، وكوني قدوة حسنة للنساء الغافلات، وسراجاً منيراً للعيون النائمة والقلوب المظلمة، وازدهري بنور تقواك وإسلامك، وانظري إليهم من عليائك بعين الاحتقار... ولا تُبالي بنظرات السخرية، وقولي كما قال نوح عليه السلام : ﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [1].

المبحث الثالث

إن الاحتشام لا يمنع من الأناقة ولا يدعو إلى التهكم، بل قد يكون التبرج أدعى إلى السخرية وبعيداً عن الأناقة، وقد يكون الاحتشام في أناقة لا يمكن للتبرج أن يُجاريها.

إن مما يدهش له أن تزدري المتبرجة المسلمة المحتشمة... كأن قيمة المرأة بأصباغها وطول مخالبها، لا بكمال عقلها وتقواها وأدبها، فتسخر الطائشة المقلدة لنساء باريس المتهتكات، من التقية المتبعة لنساء النبي ﷺ المؤمنات.

فهل بلغ حد الكفر والجهل في عصرنا أن يضحك الباطل من الحق، والجنون من العقل، والفسق من التقوى، والتهتك من التعفف... مهلاً أيتها السافرات الضاحكات، فإن من تضحكن منهن اليوم سيضحكن منكن غداً والفوز لا يكون إلا للضاحك الأخير.

---

(١) هود : آيات ٣٨ – ٣٩.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [1].

* * *

(١) المطففين : آيات ٢٩ - ٣٦.

الفصل الحادي والعشرين:

يزعم دعاة التحرر والسفور : " أن قيمة العفيف من الجنسين تظهر عند الاختلاط، فمجاهدة النفس حينئذ تكون لها منزلتها في المثوبة، فليكن هناك اختلاط، وليكن من الرجل الأدب حتى يكون له اختيار في تعففه، وليكون مما جاء فيهم (من عشق فعف فمات فهو شهيد) ".

❖ **نقول لأمثال هؤلاء :**

• المبحث الأول •

أليس هُناك ما يُعرف فيه قدر الرجل أو المرأة من العفة إلا هذا الامتحان الخطير، الذي أثبتت التجربة أن ضرره أكبر من نفعه، فالغالب في الاختلاط هوالفساد، ورحمة الله تقتضي سد هذا الباب فهو من قبيل سد الذرائع، والحكم هو لغالب الناس لا للقلة منهم، وليس من الحكمة أن نُهيئ للإنسان أسباب الشر، ثم نقول له إياك أن تقع فيه، بل الحكمة أن نبعده عنه ونسد عليه بابه.

• المبحث الثاني •

إن الاختلاط هو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد يُمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر أو الإشارة أو الكلام أو البدن من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد، وهو محرم شرعاً، فخلو الرجل بالمرأة الأجنبية على أي حال من الأحوال يُعتبر من الاختلاط والأمر بالقرار في البيت يُعتبر من النهي عن الاختلاط.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه سمع النبي ﷺ يقول : ﴿ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَة، وَلاَ تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إلاَّ وَمَعَهَا مَحْرَمٌ ﴾ . فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله، اكْتُتِبْتُ في غَزْوَة كَذَا وَكَذَا، وَخَرَجَت امرأتي حَاجَّةً . قَالَ: ﴿ اذْهَبْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ ﴾[١]. وقال ﷺ : ﴿ لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان ﴾ [٢].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد حديث رقم (٣٠٠٦) ومسلم: كتاب الحج حديث رقم (٣٣٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي(١١٧١) والنسائي.

فكيف بالله استباح الرجال والنساء الاختلاط حتى كأنه أمر عادي مألوف ؟ بل ونجد الرجل يسمح لأمه ولأخته بمجالسة أصدقائه واستقبالهم، كما يسمح لزوجته وابنته بذلك، ويكن في الغالب متبرجات، كما يحدث تبادل النظرات والملامسات بالمصافحة ونحوها ، بل وتبادل الضحكات والغمزات أحياناً، فهل هذه أخلاق الإسلام ؟؟

وليت الأمر يقتصر على ذلك، بل نجد هؤلاء القوم يخرجون للنزهة نساءً ورجالاً، وكأنهم أُسرة واحدة ليس بينهما حُرمة، كما نجد المرأة من هؤلاء تسمح للرجل الأجنبي أن يُراقصها في الحفلات والملاهي، فيحتضن جسدها وتلتصق الأعضاء بمرأى ومسمع من زوجها الخبيث الذي لا يُبالي بذلك.

المبحث الثالث

إن الاختلاط مُحذور شرعاً حتى في المساجد التي هي دُور العبادة، فقد أمر رسول الله ﷺ ألا تقف النساء مع الرجال في الصف للصلاة، بل يقفن وحدهن بعيداً عن الرجال، يفصل بينهما الصبيان، بل بين رسول الله ﷺ ﴿ أن خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وأن خير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها ﴾ [1].

---

(١) أخرجه الخمسة إلا البخاري.

المبحث الرابع

لقد حرم الإسلام على المرأة مخالطة الرجال الأجانب، وذلك للمحافظة على الثقة والمودة بينها وبين زوجها من أن يتدخل بينهما أفاك أثيم، يُشعل الخصومة ويُثير الشكوك ويرمي بالتهم والأكاذيب، ويفكك الأسر، ويهدم البيوت فوق أصحابها الآمنين... وفي نفس الوقت حتى لا تُعرض المرأة نفسها لأن تفتن أحداً أو تُفتن بأحد، أو أن تتعرض لوسائل الإغراء وحبائل المكر والدهاء، فتتعثر وقد تقع أو تهوي في لوثة الإثم ناقضةً للعهد، وناكثةً للوعد، وخائنةً للأمانة التي بينها وبين زوجها بينها وبين الله عز وجل، أو أن يتعرض لها بالأذى لصوص الأعراض من الفسقة الفاجرين وقد ينزلون بها وبزوجها مصيبة لا تُحمد عقباها، إلى غير ذلك من العواقب الوخيمة السيئة الناتجة عن المخالطة.

من هُنا : فقد أمر الإسلام المرأة بالقرار في البيت وعدم الخروج إلا لضرورة شرعية بالصورة الشرعية. فالبيت حصن للمرأة وملجؤها الأمين، فقد سمى الله تعالى مكث المرأة في بيتها في القرآن الكريم قراراً، فقال سبحانه : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ لأنه يُرافقه الاستقرار في النفس والراحة في الضمير، والطمأنينة في القلب، وكذلك نهى المرأة من السفر وحدها دون محرم :

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ لاَ يَحلُّ لامْرَأَة تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْم الآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْم وَلَيْلَة لَيْسَ مَعَهَا محرم ﴾[1]... وذلك سداً لذريعة الفساد وإغلاقاً لباب الإثم وحسماً لأسباب الشر.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تقصير الصلاة باب (٤) حديث رقم (١٠٨٨).

الفصـل الثاني و العشرين:

تزعم بعض المتبرجات: « أنها تبيح لنفسها السفور والأصباغ؛ لأنها دميمة ينفر الرجال من منظرها ».

❖ **وهُنا نقول لأمثال هؤلاء :**

١- إذا كانت تعتقد حقيقةً أنها لن ينظر إليها رجل، فلماذا تُحاول إذاً ستر هذه الدمامة بالأصباغ والزينة لتستلفت الأنظار إليها، ولماذا لا تسترها بالاختمار والتحجب.

٢- مهلاً يا سيدتي، فإن الأذواق للرجال وميولهم تختلف وتتفاوت، فقد يُوجد من يستحسنك من الرجال، وأن (**كُلَّ فولة ولها كيَّال**).

وربما يُوجد من يرى من دمامتك جمالاً، بل ويُوجد من الرجال الشره الذي يشتهي كل امرأة مهما كانت دميمة، فالنفس الخبيثة الجشعة تستسيغ كل طعام، والنفس المحرومة الجائعة يعجبها كل غذاء... من هُنا : لا يجوز إذن لأي امرأة دميمة أو كبيرة أن تتبرج مهما كان سنها أو شكلها.

٣- إن الحجاب لا يستر الجمال فحسب، بل يستر الدمامة، فلا تخجل الدميمة من قُبحها ولا تزدهي الجميلة بحسنها، ولا يرى زوج الدميمة محاسن غيرها فيتحسر على حظه ويحسد غيره.

* * *

الفصل الثالث والعشرين:

يزعم دعاة التحرر والسفور: « أن الحجاب يُجمد الطاقات المودعة في المرأة، والتي تستدعي العمل والإنتاج، وكل نظام يشل هذه الحركة في المجتمع، ويُوقف هذه الطاقات الكبيرة عن التحرك والاستثمار يُعتبر مُعاديا للحق الطبيعي للمرأة أولاً، وللحق الطبيعي للمجتمع ثانياً ».

❖ **نقول لهؤلاء وأمثالهم :**

المبحث الأول

إن الرجل يقوم بكل الخدمات التي تنهض بالمجتمع خارج المنزل، ولا يحتاج إلى جهود المرأة إلا عند عدم وُجود من لا يصلح لها غيرها، أو كانت هي مُحتاجة إلى العمل، ومع ذلك فإن الحجاب لن يعوقها عن ذلك مطلقاً، فكم تعلمت نساءٌ وبرزت وهُنَّ في أدب واحتشام . فالحجاب الإسلامي بحدوده وتفاصيله لا يُجمد أي طاقة مودعة في طبيعة المرأة، بل هو يُحافظ على النشاطات الاجتماعية وتنمية القوى وتركيزها للعمل والإنتاج، ولذا يؤكد على حصر الاستمتاعات الجنسية في مجال الحياة الزوجية لتتمخض الحياة الاجتماعية للعمل وتتفرغ للتحرك والنشاط.

وهكذا فإن فسح المجال أمام الغرائز والانقياد لها في كل ما تطلب، تؤدي إلى نفس النتيجة التي يُحدثها القهر والكبت، كما نُشاهد ذلك بوضوح في المجتمعات المعاصرة.

ومن الخطأ جداً أن نعتبر الانطلاق من الغرائز حلاً وعلاجاً للكبت كما فعل الغرب واعترف بخطئه بعد ذلك، فلا تتوقف عند هذا الحد أبداً... ومن الواضح أن الكبت اللانهائي لا يُواجه نجاحاً، فينشأ من الكبت عند ذلك مختلف الأمراض الروحية التي تصاعدت أرقامها بالفعل في الغرب.

والطريقة الصحيحة التي سلكها الإسلام، فقرر لتسكين الغريزة عنصرين :

١- إشباعها في حدودها الطبيعية عن طريق المشروع الذي رسمه لنفسه.

٢- الوقاية من تحريكها وتهييجها، وذلك بفرض الحجاب وسائر المناهج والتعاليم التي أمر بها.

المبحث الثاني

إن أصحاب هذه الشبهة يريدون بالأعمال هذه الأعمال الحضارية الموجودة عند الغرب « كالرقص والسهر والحفلات والرحلات.... وما إليها ». وهذه الأمور لا يوافق عليها الدين أصلاً، لما لها من الآثار الخطيرة المترتبة على خروج المرأة إلى هذه الميادين في تحرر وسفور.

فكشف المرأة لوجهها - **وهو جائز عند بعض الفقهاء والمذاهب-** قد يكون له مُبرر في خروج المرأة لمزاولتها للنشاط المتنوع المشروع، ولكن كشف الصدر والذراعين وما فوق الركبة ليس له مُبرر مشروع أصلاً، بل وليس له مُبرر معقول.

❋ ❋ ❋

الفصل الرابع و العشرين:

يزعم دعاة التحرر والسفور: « أن الحجاب طعن في حق المرأة، لأنه أمارة على الشك في قدرتها على الحفاظ على الشرف، وأمارة على ضعف شخصيتها وإرادتها أمام المغريات ».

فعلى سبيل المثال : تقول د. **نوال السعداوي** : في محاضرة ألقتها في إحدى الدول العربية : (..**أنا شخصياً ضد الحجاب** سواءً كان على الرأي أم العقل، لأن حجاب المرأة يعميها ويضعف أخلاقها.. السلاح الحقيقي للمرأة هي المعرفة، ومعرفة الصواب والخطأ، الفتاة العمياء أو المحجبة هي التي يُمكن أن تُخدع بسهولة، أما الفتاة مفتوحة العينين الواعية فتستطيع أن تحمي نفسها بنفسها)[1].

❖ نقول لأمثال هؤلاء :

إن الحجاب كما شرع للمرأة شرع للرجل، كل له منه ما يناسبه، فإذا شرع للنساء غض البصر وستر العورة، شرع للرجال كذلك أن يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وأمر الإسلام كلاً منهما بعدم الاختلاط وتعاطي أسباب الفجور.

فالحجاب ليس اتهاما للمرأة، بل هو أدب خلقي للرجل والمرأة على السواء، فلكل من الجنسين غرائزه وشهواته... فهل يُمكن للرجل إذن أن يقول : إن تحريم الإسلام بنظري إلى المرأة أو خلوتي بها طعن في عفتي وخلقي وعزيمتي ؟

إن الحجاب احتياط، وليس كل الرجال وكل النساء على خير دائماً، فهل وضع القفل على باب المنزل أو المتجر اتهام من صاحبه لكل الناس بأنهم لصوص ؟ ووجود الشرطي هل هو دليل على أن يكون الناس مُجرمون ؟ . فالله تعالى يُبين أن الرجال ليسوا على درجة واحدة ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ فالمتعرض للفتنة هو من في قلبه سوء لخلوه من خوف الله وقوة الإرادة.

---

(١) المرأة المسلمة أمام التحديات : أحمد الحصين– ص ٣١٠.

ومما يدل على أن الحجاب من حكمته مصلحة الطرفين.

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ وذلك تعليل للأمر بعدم كلام نساء النبي ﷺ إلا من وراء حجاب.

وفي ذلك يقول البروفيسور **فون همر**: «.. والحجاب في نظر الإسلام وتحريم الاختلاط بين المرأة والرجل الأجنبي، ليس معناه انتزاع الثقة بالنساء، وإنما هو وسيلة للاحتفاظ بما يجب لهن من الاحترام والاحتشام وعدم التبذل، فالحق أن مكانة المرأة في الإسلام تجعلها جديرة بأن تُحسد عليها».

* * *

الفصـل الخامس و العشرين:

يخدع أعداء الإسلام المرأة بزخرف القول وغرروا بها حيث يقولون: " إن عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها وليست غطاءً يلقى ويسدل على جسمها. وكم من فتاة متحجبة عن الرجال في ظاهرها وهي تُمارس معهم البغي والفجور في سلوكها. وكم من فتاة حاسرة الرأس سافرة الوجه لا يعرف السوء سبيلاً إلى نفسها أو سلوكها ".

❖ وهُنا نقول لأمثال هؤلاء :

• المبحث الأول •

إن هذا صحيح، فما كان للثياب أن تنسج لصاحبها عفةً مفقودة، ولا أن تهيء له استقامة معدومة، ورب فاجرة سترت فجورها بمظهر سترها، ولكن من هذا الذي زعم أن الله إنما شرع الحجاب لجسم المرأة لخلق الطهارة لنفسها أو العفة في أخلاقها ؟.. ومن هذا الذي زعم أن الحجاب إنما شرعه الله ليكون إعلاناً بأن كُلَّ من تلتزمه فهي فاجرة تنحط في وادي الغواية مع الرجال. إن الله جل جلاله إنما فرض الحجاب على المرأة حفاظاً على عفة الرجال الذين تقع أبصارهم عليها، لا حفاظاً على عفتها من الأعين التي تراها، ولئن كانت تشترك معهم هي الأخرى في هذه الفائدة في كثير من الأحيان، فإن فائدتهم من ذلك أعظم وأخطر، وإلا فهل يقول عاقل تحت سلطان هذه الحجة المقلوبة إن للفتاة أن تبرز عاريةً أمام الرجال كلهم ، مادامت ليست في شك من قوة أخلاقها وصدق استقامتها ؟.

إن بلاء الرجال بما يقع عليه أبصارهم من مُغريات النساء وفتنتهن، هو المشكلة التي حوجت المجتمع إلى حل، فكان في فضل الله ما تكفل به على أفضل وجه.

إذا لم يجد في سبيله هذا الحل الإلهي، ما من ريب أنه سيتجاوز بالسوء إلى النساء أيضاً، ولا يغني عن الأمر شيئاً أن تعتصم المرأة المتبرجة عندئذ باستقامة في سلوكها أو عفة في نفسها، فإن ضرام ذلك البلاء الهائج في نفوس الرجال، ما قد يتغلب على كل استقامة أو عفة تتمتع بها المرأة إذ تعرض من فنون إثارتها وفتنتها أمامهم.

المبحث الثاني

يحتمل وجود بعض الفتيات المحجبات وسلوكهن سيئ، ولكنهن قليلات جداً إن وُجدن ، كما أن حجابهن ليس لباس سترة ، بل لباس زينة يبين من خلاله مفاتنهن ليعرفن . كان هذا في الماضي يوم أن كانت الفاحشة مستنكرة يحاربها المجتمع بأسره، أما اليوم ومع الأسف فقد أصبحت الفتاة تُدخل صديقها إلى بيتها وتعرفه على أهلها وترافقه في نزهتها دون ما حرج أو استنكار، ولم تعد المرأة المنحرفة بحاجة إلى الحجاب تخفي به هويتها ريثما تصل إلى من تريد . لقد استفادت من التكنولوجيا في انحرافها حيث أصبح الهاتف يسهل عليها الاتصال بمن تشاء لتحدد زمان ومكان اللقاء، وأصبحت السيارة توصلها إلى أقرب مكان لتخرج بسيارة الزبون الذي ينتظرها في مكان آخر قريب بحيث تعجز عن عيون المراقبين عن رصد تحركاتها . فلماذا تضيق على نفسها بالحجاب، إنها لم تعد بحاجة إليه لأن وسائلها للوصول إلى غايتها الوضيعة كثيرة جداً بعد أن أصبحت تخرج وحدها إلى الوظيفة والعمل والسوق.

لقد كانت المرأة في الماضي لا تخرج إلى السوق إلا برفقة إحدى قريباتها أو جاراتها، أما اليوم فلم يعد هناك حرج من خروجها وحدها . وليس من حجاب يمنعها عن انحرافها إلا حجاب التقوى والأخلاق، لذا لم يعد متمسكاً بالحجاب إلا النساء الصالحات والمسنات، أما غير الشريفات فقد أسفرن كلهن... وما دمت أيتها السافرة قد تركت الحجاب لوجود غير شريفات بين المتحجبات، فيجدر بك أن تتركي السفور وترجعي إلى الحجاب لوجود غير شريفات بين السافرات.

المبحث الثالث

إن نظرة الإسلام في التزام الحق لا تتأثر بتطبيق الآخرين ولا بسوء تطبيقهم له. لقد كان على عهد رسول الله ﷺ **منافقون،** فهل ترك أحد المسلمين الإسلام بسببهم. يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾، ويقول سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ ، ﴿ كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [1].

إذاً فليكن هدفك يا أختي المسلمة أن تكوني من الناجيات من عذاب الله الطامعات في رحمته ومغفرته، ولا تنسي أن في كل مجتمع صالحات وطالحات سواءً كن سافرات أم متحجبات. فتشي عن الصالحات وحسني صلتك بهن، ولا يمنعك مانع من التزام الحق والإقبال على طاعة الله وتجنب عصيانه لتفوزي بسعادة الدارين والله معك.

* * *

(١) الطور : آية ٢١.

الفصـل السادس و العشرين:

يقول أحد دعاة السفور والتبرج[1]، حينما حمله الغضب حينما حجبت المرأة وجهها: « فكأنما بذلك الحجاب التطوعي تقف على مئذنة لتصيح في الناس، هذه هي سلعة من عهود الحريم لمن يشتري ».

(1) د. زكي نجيب محمود – جريدة الأهرام المصرية – الاثنين ٨ / ٤ / ١٩٨٤ م – في مقالة (ردة في عالم المرأة).

❖ **نقول لهذا وأمثاله :**

١- إنك تُريد بذلك أن يخرج النساء سافرات عاريات مُتهتكات، وكأنهن ينادين « **من لا يشتري يتفرج** ». فهذا هو مفهوم الكرامة عندك.

٢- إنك هُنا قد قلبت الأوضاع رأساً على عقب، فإنك تعلم حق العلم أن من المُسلم به في عالم التجارة ، وفي قانون العرض والطلب: أن على أصحاب السلع أن يُحسنوا عرضها على الناس فيكشفوا عنها حتى يتعرف المشترون على مزاياها، والأمر هُنا مختلف جد الاختلاف، إذ إن المرأة في حالتنا هذه تخفي مفاتنها، فتحجب على الناس رؤية وجهها وهو من أجمل أجزاء جسمها، فهي إذن لا تحاول عرض نفسها كسلعة تُباع وتُشترى، ولم تناد من فوق مئذنة بصوت خفيف أو جهوري، لأنها أكرم على نفسها من كل ما ذكرت.

٣- إن ما عليه بعض النساء المحجبات الآن إنما هي صحوة مباركة -جعلت المرأة بعد أن عثرت على ذاتها التي ضاعت في أوقات ماضية – جعلت المرأة تحتمي بنور الإيمان، فأسبغت على نفسها ملابسها وغطت رأسها، حيث رجعت من تلقاء نفسها إلى طاعة ربها، قبل أن يأمرها بذلك أب أو أخ أو زوج، وهذا هو السمو الخلقي والروحي الذي لا سمو يعلو عليه، ولا يُفيدها أن قلة قليلة من بنات جنسها قد تغالين وأسرفن في الحجاب فأسبغن على وجوههن الأقنعة.

❋ ❋ ❋

الفصــل السابــع و العشرين:

تزعم بعض المتبرجات : " أن الحجاب فيه كبت للعواطف، فالعواطف إن لم تجد منفذاً للظهور وهي ثائرة أدت إلى عقد نفسية ".

وهنا نقول للاتي يدعين: « بأن السفور تنفيس عن الغريزة، لأن مقاومة الطبيعة تُغري بانتقامها لنفسها بانحرافات تضر نفوس الناشئين وأجسامهم » .

إن الإسلام أمر بالحجاب تعديلاً للغريزة وترويضاً لها، وما من شيء حُرِّم إلا جعل الله له بدلاً من الحلال يُحقق الإنسان فيه نشاطه، فليست المنافذ كلها أبداً مسدودة على الغرائز، وإلا كان التشريع عبثاً، لأنه لا يستطيع مُساعدة الإنسان على تحقيق خلافته. فلكل محرم بديل من الحلال، والطريق الطبيعي لنشاط الغريزة الجنسية نشاطاً إيجابياً منتجاً صحيحاً هو الزواج.

وكما قال العلماء : إن الله حين حرم الربا لضرره في الاستغلال، جعل له بديلاً من التجارة المشروعة التي تُحقق الربح المعقول، مع المحافظة على المعاني الإنسانية في المعاملات. قال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[1] فالإسلام بتشريع الحجاب يقف بالغريزة إلى حد الاعتدال، ويحافظ على وجود الميل الطبيعي بين الجنسين، لا يُريد أن يميته فيقضي عليه تماماً، ولا يُريد أن يقويه بشكل يدعو إلى الخطر.

فإذا كانت مداومة الاختلاط تضعف ميول الجنسين بعضهما نحو بعض كما يُقال، فإن الإسلام لا يُريد هذا الإضعاف ... فلماذا لا يكون الاختلاط من عوامل قوة الميل وشططه واندفاعه بأخطاره الجسيمة. خصوصاً في فترة الشباب ؟ والواقع خير دليل على ذلك.

---

(١) البقرة آية ٢٧٥.

إن الإسلام لا يرى الخير في إضعاف الغريزة ولا في تقويتها على الإطلاق، فلكلٍ مجال . إنه يدعو إلى ترويضها وإضعافها عندما لا يتيسر فسح المجال لها بالزواج، فأوصى غير القادرين عليه بالصيام، وهو لا يقف حجر عثرة في سبيل تقويتها بين المتزوجين لتحسين النسل واستمتاعهم بنعمة الله، والحجاب من عوامل إضعاف الميل الجنسي أو تعديله بصفة مؤقتة عند تعرض المرأة لرؤية الرجال.

* * *

في النهاية : أوجه لك أختي المسلمة نداءً من القلب :

أدعو الله أن يردك إلى الإسلام رداً جميلاً، وأن تلتزمين بشرعه، فإني لك محب مشفق وأخ ناصح، وألا تنساقي وراء دعوات التحرر والسفور، فهي دعوات كالسراب للظمآن.

..**عودي إلى رشدك** بارك الله فيك، ولا تتبعي خُطوات الشيطان، فتكوني من أهل النار.

..**هيا بنا نشمر عن** ساعد الجد لنشر الفضيلة، ولنسر جنباً إلى جنب لمحاربة الرذيلة، ولبناء المجتمع العفيف الطاهر، فأنت الشق الآخر للرجل والحياة، ولا تستقيم المسيرة إلا بك من بعد تأييد الله لها.

.. **تدبري دعوات** الحرية والتبرج والسفور، وأخبريني أي حرية أعطتك، وأي فوز منحتك، فإن نساء الغرب أنفسهن سئمن هذه الحرية الكاذبة واستبداد الرجال بهن، وجعلهن سلعة رخيصة يُتاجرون بها في دعاياتهم وإعلاناتهم من أجل الحصول على حُطام الدنيا الفاني، وهُن الآن يُنادين بالرجوع إلى البيت وحياة الأمومة وعش الزوجية الهادئ بعيداً عن متاعب الدنيا واختلاط الرجال.

١ ـ **الإسلام في مواجهة حملات التشكيك** : للدكتور / محمود حمدي زقزوق – ط « ٣ » – قضايا إسلامية – وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – العدد « ٧١ » – القاهرة – ٢٠٠١ م.

٢ ـ **الإسلام كبديل** : د. مراد هوفمان – ط« ٢ »– مكتبة العبيكان– الرياض– ١٩٩٧ م.

٣ ـ **تحرير المرأة** : قاسم أمين – ط « ٢ » – المركز العربي للبحث والنشر – القاهرة – ١٩٨٤م.

٤ ـ **تفسير القرآن العظيم** : أبو الفداء إسماعيل بن كثير – إعداد تحقيق دار إحياء التراث العربي – لبنان - ٢٠٠٠ م.

٥ ـ **الجامع لأحكام القرآن** : أبو عبد الله بن أحمد القرطبي – دار القلم – القاهرة –دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٩٦٦ م .

٦ ـ **جريدة الأهرام المصرية** : الاثنين ٩/٤/١٩٨٤م .

٧ ـ **جريدة اللواء الإسلامي بمصر** : العدد ٢٨٤ – ٢ يوليو ١٩٨٧ م.

٨ ـ **الحجاب** : أبو الأعلى المودودي – ط« ١ » –مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ،ودار الفكر – بيروت - لبنان – « د.ت » .

٩ ـ **الحجاب في التشريعات الوضعية القديمة** : موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام : الشيخ عطية صقر - القاهرة – الجزء الثاني – « د . ت » .

١٠ ـ**عودة الحجاب** : محمد أحمد إسماعيل – دار طيبة – الرياض – « د. ت ».

١١ ـ **مجلة التضامن الإسلامي** : التي تصدر بمكة – محرم سنة ١٣٩٢هـ - عدد مارس ١٩٧٢.

١٢ ـ **مجلة العربي** : عدد مارس سنة ١٩٦٩ م.

١٣ ـ **المرأة الجديدة** : قاسم أمين – مطبعة الشعب – مصر – ١٩١١م .

١٤ ـ **المرأة المسلمة أمام التحديات** : أحمد عبد العزيز الحصين – ط « ٥ » – دار البخاري للنشر والتوزيع – القصيم – السعودية – ١٩٨٦م.

١٥ ـ **المرأة في القرآن** : عباس محمود العقاد – ط « ٥ » – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان– (د. ت).

١٦ ـ **المرأة ومكانتها في الإسلام** : أحمد عبد العزيز الحصين – ط « ٥ »– مكتبة الإيمان – القاهرة – ١٩٨١م.

١٧ ـ **المساواة في الإسلام** : د. علي عبد الواحد وافي – دار المعارف – مصر– ١٩٦٠ م.

١٨ ـ **موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام**:الجزء الثاني – الحجاب بين التشريع والاجتماع : للشيخ / عطية صقر - طبعة الدار المصرية للكتاب – القاهرة- « د. ت ».

الموضوع الصفحة

